

سلسلة روايات
ملف المستقبل

١٨

ظلال الفزع


نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

١ ـ قلب الرعب ..

تثاءب جندىّ الحراسة داخل الحجرة الصغيرة ، المقامة على أطراف معسكر الأبحاث الجيولوجية ، فى جبل (مقسم) على الحدود المصرية السودانية ، والتفت إلى زميله قائلاً بضجر :

ـ يا لها من مهنة مملة !! مَنْ بالله عليك يفكر فى اقتحام أو سرقة معسكر للأبحاث الجيولوجية ؟

هزّ رفيقه كتفيه بسأم ، وقال :

ـ إنها الإجراءات الروتينية يا (سلطان) .. لابُدّ من وجود جنود الحراسة حول كل عمل حكومىّ .

مطّ (سلطان) شفتيه ، وقال :

ـ بل هو التزمّت الروتينى يا (نعيم) .. كم بقى أمامنا فى هذا العمل ياتُرى ؟

ابتسم (نعيم) ابتسامة حانقة ، وقال :

ـ الله أعلم .. إن الأمر يتوقّف على الأبحاث التى يقومون بها فى الداخل ، فكلما عملوا بنشاط اختصرت أعمالنا هنا .

أغلق (سلطان) عينيه ، وقال :

ـ يا إلهى !! أدعو الله أن ينتهوا من عملهم هذا سريعا ، قبل أن يقتلنى الضجر .

انبعث من المكان فجأة صوت إيقاع إليكترونى منتظم خافت ، واعتدل (نعيم) فى مقعده والتقى حاجباه وهو يحدّق فى شاشة برتقالية ، تحركت فوقها عدة أشكال حمراء غير منتظمة ، وقال باهتمام مشوب بالقلق :

ـ ها هو ذا شىء ما يحطم الملل يا صديقى .. هناك من يحاول الاقتراب من المعسكر بحذر .

فحص (سلطان) الظلال الحمراء المرتسمة فى الشاشة ، وقال فى حيرة :

ـ عجبا !! إن هذا الشىء غير آدمىّ بالتأكيد ..

انظر .. إن حدود الظلال تختلف مع الحركة .. إنه جسم حىّ بالطبع ما دام يشع ذلك القدر من الحرارة ، الذى مكن شاشاتنا من التقاطه ، ولكنه غير آدمى .

قال (نعيم) بتردّد :

ـ ربّما كان أحد حيوانات الجبل أو الغابات القريبة .

هزّ (سلطان) رأسه نفيا ، وقال بتأكيد :

ـ مستحيل .. إن هذا الجهاز يلتقط الإشعاعات الحرارية التى تنبعث من الأجساد الحية ، ويرسم ظلالها واضحة على تلك الشاشة ، بشكل يمكننا من تحديد نوعيتها مع بعض الخبرة ، وبرغم أننى أعمل منذ خمس سنوات على هذا الجهاز ، إلا أننى لم أشاهد مثل هذه الظلال المتغيّرة مطلقًا .. وأصدقك القول إنها تثير فى داخلى بعض الفزع .

انتقل الخوف بالفعل إلى قلب (نعيم) ، فقال بتلعثم ، وهو يتطلع إلى الظلال المتحركة فوق الشاشة البرتقالية :

ـ وماذا تقترح أن نفعل ؟.. هل نطلق الإنذار ؟

هزّ (سلطان) رأسه نفيا ، وقال :

ـ إن إطلاق إنذار الخطر عمل حسّاس للغاية يا صديقى .

ثم أخرج مسدسه الليزرىّ ، ونهض من مقعده وهو يقول :

ـ هناك حلّ بديل .. سأتفقّد المنطقة بنفسى .

أمسك (نعيم) بذراعه ، وقال :

ـ لا .. دعنا نطلق الإنذار .

قطّب (سلطان) حاجبيه ، وقال :

ـ لن أجعل من نفسى أضحوكة ، إذا ما ثبت أن الأمر لا يعدو أن يكون خللاً فى الجهاز يا صديقى .. لا .. سأفحص المنطقة بنفسى .

ورفع مسدسه الليزرى أمام وجهه ، وهو يبتسم قائلاً :

ـ وهذا كفيل بالقضاء على أصحاب هذه

الظلال ، حتى ولو كانوا من الوحوش المفترسة .

غادر (سلطان) غرفة الحراسة ، وهو يقبض على مسدسه الليزرى ، وبيده الأخرى مصباح ضوئى ، ينير له طريقه ، على حين تسمّر (نعيم) على مقعده أمام الشاشة البرتقالية ، وتعلّقت عيناه بالظلال الحمراء ، التى أخذت تتحرّك بشكل منتظم ، وانضم إليها ظل (سلطان) وهو يتحرك بخطوات حذرة ، حتى أصبح تقريبا وسط الظلال المفزعة ، وفجأة قفز أحد الظلال غير المنتظمة نحو (سلطان) ، وتداخلت ظلالهما بشكل عجيب ، وتحركت الظلال الأخرى لتندمج كلها فى ظل واحد ضخم ، وصاح (نعيم) برعب :

ـ ربّاه !! إنهم .. إنهم يهاجمون (سلطان) .

ودونما تفكير أسرعت يده إلى زر صغير ، وضغطه بقوة دون أن يرفع عينيه الملتاعتين عن الشاشة ، ودوّى فى أرجاء المعسكر صفير قوىّ منذرًا بحلول الخطر ، ورأى (نعيم) الظلال تنفصل عن ظلّ (سلطان) ، الذى



غادر (سلطان) غرفة الحراسة ، وهو يقبض
على مسدسه الليزرى ، وبيده الأخرى مصباح ضوئى ..

استكان فوق الأرض ، وقد بهت حتى قارب لون الشاشة الملون البرتقالى ، فصرخ (نعيم) بفزع :

ـ يا إلهى !! (سلطان) يموت .. إن جسده يبرد ، وتفارقه حرارة الحياة .

ازدادت ظلال جسد (سلطان) شحوبا ، حتى أصبح من المستحيل تمييزها عن باقى أجزاء الشاشة البرتقالية ، فى حين ابتعدت الظلال الحمراء حتى اختفت من أطراف الشاشة ، فى نفس الوقت الذى اندفع فيه الدكتور (رضا خليل) ، مدير المعسكر بقامته الصغيرة ، وملامحه المنمنمة ، ومنظاره الطبىّ المستطيل ، ووجهه الحليق الوسيم ، داخل غرفة الحراسة ، وصاح فى وجه (نعيم) :

ـ ماذا حدث ؟.. لماذا أطلقت الإنذار ؟.. أين زميلك ؟

أشار (نعيم) بأصابع مرتجفة إلى الشاشة البرتقالية ، وقال بصوت لا يكاد يسمع من شدة خفوته :

ـ إنه (سلطان) .. لقد قتلوه .. قتله الظلال الحمراء المفزعة .

أمسك الدكتور (رضا) بتلابيبه ، وصاح :

ـ أية ظلال ؟.. أجب .. أين (سلطان) ؟

قال (نعيم) بصوت شارد ذاهل :

ـ لقد خرج خلف تلك الظلال .. لقد خرج إلى حتفه .

كان من الواضح أن المسكين مصاب بانهيار عصبى شديد ، فتركه الدكتور (رضا) ، وأسرع يلقى بأوامره للبحث عن (سلطان) ، ونقل (نعيم) إلى المركز الطبى لعلاجه من الانهيار الذى أصابه ، وساد الهرج والمرج فى أرجاء المعسكر ، حتى أن الدكتور (رضا) بذل مجهودا شديدا للسيطرة على الموقف ، عندما عاد الرجال الذين خرجوا للبحث عن (سلطان) ، وهم يحملون جثته ، واقترب قائدهم من الدكتور (رضا) وهو شاحب الوجه بشكل عجيب ، فسأله الدكتور (رضا) بقلق :

ـ إنه حيوان مفترس .. أليس كذلك ؟

هزّ قائد فريق البحث كتفيه فى حيرة ، وقال بصوت أشد شحوبا من وجهه :

ـ ربما .. ولكنه سيكون أغرب حيوان واجهته فى حياتى .

نظر إليه الدكتور (رضا) بتساؤل ، فتابع بصوت متحشرج :

ـ لقد ترك الجسد كله سليما ، ولكنه انتزع القلب تماما من الوريدين العلويين وحتى الأورطى .. لقد سرقوا قلب (سلطان) يا سيّدى .

* * *

٢ ــ مهمة غامضة ..

أشار مدير التدريبات بإدارة المخابرات العلمية إلى القاعة الواسعة العالية السقف التى يقف فى منتصفها تماما ، وقال للرائد (نور الدين) الذى يقف إلى جواره ثابتا :

ــ هذا النوع من التدريبات لم يكن معروفا فى القرن السابق أيها الرائد .. ولا حتى فى أوائل القرن الحادى والعشرين ، وربما فرضه التقدم العلمى أو طبيعة الأخطار والألغاز العجيبة التى تواجه مخابراتنا .

أومأ (نور) برأسه فى صمت واحترام ، على حين تابع مدير التدريبات قائلا :

ــ ستنطلق نحوك من جميع أرجاء القاعة فقاعات زرقاء اللون .. تسعة أعشار هذه الفقاعات هى مجرد صور هولوجرافية ، أما العشر الباقى فهو فقاعات فعلية ،



إذا ما مستك إحداها فتصيبك بشحنة كهربائية ضئيلة .

ظهر الاهتمام على وجه (نور) وهو يتابع حديث المدير ، على حين استطرد هو :

ـ ومن الطبيعى أنك لن تنجح فى إصابة جميع الفقاعات ؛ ولذلك فعليك إعمال عقلك فى محاولة تمييز الفقاعات الحقيقية ، وليكن معلوما أنه لو أصابتك عشر فقاعات فسيعنى ذلك فشلك فى الاختبار .. حظًا موفقا .

غادر مدير التدريبات القاعة بهدوء ، وترك (نور) فى منتصفها ، وما أن أغلق الباب الإليكترونى خلفه ، حتى تعلّق بصر (نور) بمصباح وردى يضىء من أعلى القاعة .. وفجأة تحوّل المصباح إلى اللون الأصفر ، فسحب (نور) مسدسه الليزرى ، واندفعت الفقاعات الزرقاء نحوه من كل الاتجاهات .

أطلق (نور) أشعة مسدسه بسرعة نحو إحدى

الفقاعات ، فانفجرت بضوء أحمر ساطع ، ولكنه لم يهتم بمتابعة انفجارها ، وإنما أخذ يدور بجسده فى كل الاتجاهات ، مطلقًا دفقات الأشعة من مسدسه على فقاعات معينة يختارها بعناية وسط الطوفان الذى يتدفّق نحوه منها ، وفى كل مرة يطلق أشعته يسطع الضوء الأحمر فى القاعة .. وخارج المكان وقف مدير التدريبات يراقب ردود فعل (نور) على شاشة ضخمة ، ولم يلبث أن قال بإعجاب واضح :

ـ رائع .. إنه لم يخطئ مرة واحدة ، وكأنه يحفظ أماكن الفقاعات الحقيقية عن ظهر قلب .

لم تكد تمضى خمس دقائق ، حتى شعر (نور) بالإرهاق يملأ جفنيه وعضلاته ، وشعر برأسه يدور من كثرة ما دار حول نفسه ، متابعًا الفقاعات التى تندفع نحوه من جميع الأرجاء ، ولكنه لم يتوقف عن الاختيار والتصويب وإطلاق أشعته ، حتى لمح المصباح يتحوّل مرة ثانية إلى اللون الوردىّ ، وتوقف اندفاع الفقاعات ،

وهنا أرخى ذراعه التى تمسك بالمسدس ، وتنهّد بارتياح ، وسمع صوت مدير التدريبات وهو يلج القاعة صائحا بإعجاب :

ــ رائع أيها الرائد .. تقبل تهنئاتى .. إنها المرة الأولى التى يحقق فيها أحد رجالنا هذه النتيجة الرائعة .

ابتسم (نور) بهدوء ، على حين ربّت مدير التدريبات على كتفه قائلا :

ــ أخبرنى بالله عليك .. كيف أمكنك معرفة الفقاعات الحقيقية بهذه الدقة ؟

أعاد (نور) مسدسه الليزرى إلى جيب سترته وهو يقول ببساطة :

ــ إن الفقاعات الحقيقية وحدها تلقى ظلالًا يا سيدى ، أما الصور الهولوجرافية فلا تفعل ذلك .

ضحك مدير التدريبات ، وقال :

ــ ممتاز .. إن ما يقولونه عنك صحيح أيها الرائد ، فأنت تحمل عقلية نادرة بالفعل .

وفى تلك اللحظة ارتفع صوت عميق من مكان ما من القاعة يقول :

ــ الرائد (نور) ، عليه الحضور إلى مكتبى فورًا .

اعتدل مدير التدريبات ، وقال باهتمام :

ــ إنه القائد الأعلى أيها الرائد .. أسرع فلابدّ أنه يريدك لمهمة جديدة .

* * *

أدّى الرائد (نور) التحية العسكرية باحترام ، ووقف ثابتا أمام القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، الذى بادره قائلا :

ــ من الواضح أن لياقتك البدنية مرتفعة يا (نور) ، وهذا يساعدك كثيرًا .. فأنت تعلم أن القدماء يقولون : « العقل السليم فى الجسم السليم » .

أومأ (نور) برأسه ، وقال بهدوء :

ــ نعم يا سيدى ، ولكننى أختلف مع هذا المبدأ ، فالعالم المعروف (توماس ألفا أديسون) كان أصم ، كما

أن (ماركونى) مكتشف الكهرباء ، كان أحدب ضئيل الجسم ، وكذلك العالم (ألفريد أينشتين) لم يكن يزاول أى نوع من أنواع الرياضة .

ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

ــ حسنا .. سنناقش هذا الأمر فيما بعد ، أمّا الآن فعليك مشاهدة الفيلم الذى سأعرضه عليك الآن .

ظهر الاهتمام على وجه (نور) وهو يتابع الفيلم الذى عرض على شاشة كبيرة الحجم من شاشات الفيديو المثبتة فى جدران غرفة القائد الأعلى .. كان نفس الفيلم الذى التقطته أجهزة الفحص الحرارى للظلال الحمراء غير المنتظمة ليلة مصرع الحارس (سلطان) .

وما أن انتهى عرض الفيلم ، حتى قال (نور) فى حيرة :

ــ إن دراستى لأجهزة الفحص الحرارى غير كافية للحكم على مثل هذا الفيلم العجيب ، ولكننى أعتقد أن هذه الظلال لأجسام حيّة غير معروفة على الإطلاق .

هزّ القائد الأعلى رأسه موافقًا ، وقال :

ــ هذا ما أجمع عليه خبراء الفحص الحرارى أيها الرائد ، ويبدو أن هذه الأجسام شرهة لالتهام القلوب فقط .

نظر (نور) إلى قائده بدهشة وتساؤل ، فتابع قائلاً :

ــ لقد التهمت هذه المخلوقات العجيبة قلب ضحيتها فقط .. انتزعته كاملاً دون أن تمس باقى الجسد أو حتى ما يحمله الرجل .

زوى (نور) ما بين حاجبيه ، وأخذ يفكر بعمق فيما أخبره به قائده ، حتى قطع هذا الأخير أفكاره قائلاً :

ــ فيم تفكر أيها الرائد ؟

رفع (نور) رأسه ، وقال :

ــ معذرة يا سيدى ، لقد ذهب عقلى بعيدًا .. لقد تذكرت بعض ما قرأت عن عبدة الشيطان .. هؤلاء

الشواذ الذين يفضلون عبادة الشيطان عن عبادة رب السموات والأرض .

هزّ القائد الأعلى كتفيه ، وقال :

ــ وما علاقتهم بهذا الأمر يا (نور) ؟

تردّد (نور) لحظة ، ثم قال :

ــ إن عبادة هؤلاء القوم ترتبط دائمًا ببعض الطقوس الدموية الشاذة ، مثل ذبح العذراوات والأطفال و ....

أكمل القائد الأعلى العبارة قائلاً :

ــ وانتزاع القلوب ، أليس كذلك ؟

ثم مطّ شفتيه ، وتابع قائلاً :

ــ ربّما .. يمكننا إضافة هذا الاحتمال إلى ما لدينا ، ولكن هناك نقطة هامة ينبغي أن تعلمها أولا قبل أن تتوصل إلى رأى أيها الرائد .

ومضت فترة من الصمت قبل أن يستطرد بهدوء :

ــ إن معسكر الأبحاث الجيولوجية المقام فى جبل

(مقسم) على الحدود المصرية السودانية ، هو فى الحقيقة مجرد ستار لأهم أبحاثنا المشتركة مع (السودان) عن التحول الذرى العنصرى .

ردّد (نور) بدهشة :

ــ التحوّل الذرىّ العنصرىّ ؟

أومأ القائد الأعلى برأسه قائلاً :

ــ نعم أيها الرائد .

ثم صمت لحظة قبل أن يردف قائلاً :

ــ إن الإنفاق على التجارب العلمية وضمان التقدم فى هذا المجال يحتاج إلى أموال طائلة ، والدول تسعى دائما وعلى مر العصور إلى تحقيق موازنة غاية فى الصعوبة ، ألا وهى ضمان الرفاهية والعيش الرغد لمواطنيها ، إلى جانب إيجاد الموازنة الكافية للإنفاق على التقدم العلمى والعسكرى .. ولذلك تجد الدول جزءًا من أبحاثها العلمية دائما فى محاولة إيجاد وسائل جديدة للثروة ، وهذا ما فعلناه بالاشتراك مع السودان الشقيق .

ازدرد القائد الأعلى لعابه ، ثم تابع :

ـ ولقد اقتربت أبحاثنا المشتركة فى جبل (مقسم) من تحقيق حلم علماء الكيمياء فى كل العصور ، ألا وهو تحويل المعادن إلى ذهب .

اتسعت عينا (نور) دهشة ، فابتسم القائد الأعلى وهو يقول :

ـ نعم أيها الرائد .. الذهب .. ذلك المعدن الأصفر الذى قضى الملايين حتفهم سعيا وراء الحصول عليه ، وامتلأت السجون على مرّ العصور بمن باعوا أنفسهم للشيطان من أجله رجالاً ونساءً .

قاطع (نور) رئيسه دون وعى قائلا :

ـ إذن فقد نجحت دولتنا أخيرا فى إتمام التجارب التى بدأها الأمريكيون فى أوائل الثمانينات من القرن العشرين يا سيدى .. تلك التجارب التى تعتمد على استخدام المعجل الذرىّ فى قذف إليكترونيات ذرة داخل ذرة أخرى ، بحيث يزيد عدد ذرات الأخيرة ، فتتحول إلى معدن مخالف ..

ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

ـ هذا صحيح أيها الرائد .. لقد تمكّنا أخيرًا من التحكم فى عدد الإليكترونات المقذوفة والمستقبلة داخل المعجل النووىّ ، وها هى ذى أبحاثنا على مشارف النجاح .. لولا ظلال الفحص الحرارى .

قطّب (نور) حاجبيه ، وقال بصوت عميق :

ـ هذا يضع أبعادا جديدة لحادث ظلال الفزع هذه يا سيّدى .

* * *



٣ ـ الظلال المفترسة ..

تطلّع الدكتور (رضـا خليـل) إلى الشبان الأربعة الذين يقفون أمامه ، ثم ضم كفيه أمام وجهه وقال بلهجة أقرب إلى السخرية :

ـ إذن فأنتم أقوى فريق بإدارة المخابرات العلمية .. عجبا !! هل بلغت باقي الفرق سن الرشد .

وبرغم لهجته الساخرة ، إلا أن أحدهم لم يشعر بالضيق .. فلقد كانت سخريته مغلفة ببريق مرح ، تألقت به عيناه من خلف منظاره الطبي ، وبابتسامة دعابة على وجهه الهادئ الرقيق الملامح ، فابتسم (نور) وقال :

ـ لن تلبث أن تعترف بقـوة فريقنـا يا دكتور (رضا) .

ضحك الدكتور (رضـا) ، ومد يده يصافح (نور) قائلا :



ــ مرحبا بكم فى معسكرنا أيها الرائد .. مرحبا بكم جميعا أيها الشبان .

قام (نور) بإجراء التعارف بين الطرفين ، وطلب الدكتور (رضا خليل) مشروبًا لأعضاء الفريق ، ثم استرخى فى مقعده ، وقال :

ــ برغم غرابة حادث مصرع الحارس (سلطان) ، إلاّ أن هذا الأمر لم يتكرر بعد ، ذلك حتى أننى أستطيع اعتباره حادثا فرديا .

تدخل (محمود) قائلا :

ــ حتى لو اعتبرناه حادثا فرديًا يا دكتور (رضا) ، فهو يمثل لغزا غامضا يحتاج إلى جلاء غموضه .

أومأ (رمزى) و (سلوى) برأسيهما موافقين ، على حين استطرد هو قائلا :

ــ لقد شاهدت الفيلم الذى التقطته أجهزة الفحص الحرارى عدة مرات ، وبصفتى خبيرًا فى الأشعة ، يمكننى أن أجزم بأن هذه الظلال التى ظهرت على الشاشة

لكائنات حية غير معروفة على الإطلاق .

هز الدكتور (رضا) كتفيه ، ومطّ شفتيه دون أن ينطق بكلمة ، فقال (رمزى) :

ــ كما أن الحركات المفاجئة التى قام بها (سلطان) عندما هاجمته تلك الأجسام ، تدل على أنه أُصيب بحالة من الفزع والذهول ، ليس لهما من مثيل .

تنهد الدكتور (رضا) ، وقال :

ــ إننى أوافقكما على ذلك ، ولكننى أعتقد أنه من الأفضل التجاوز عن مثل هذه الحوادث الفردية ، حفاظًا على سرية المشروع الذى نقوم به .

قال (نور) بجدية :

ــ هذا ما سنحرص عليه غاية الحرص يا سيدى .

صمت الدكتور (رضا) لحظة ، ثم قال بهدوء :

ــ ماذا ستفعلون إذن ؟

تراجع (نور) من مقعده ، وقال بهدوء مماثل :

ــ سنقسم العمل فيما بيننا يا سيدى .. سيقوم

(محمود) بفحص ومراقبة جهاز الفحص الحرارى ، وسيعمل (رمزى) على معاونة الدكتور (محمد حجازى) كبير الأطباء الشرعيين فى إعادة تشريح جثة (سلطان) ، بعد أقل من ساعة ، حينما يصل الدكتور (حجازى) .

ثم أمسك بكتف (سلوى) ، واستطرد قائلاً :

ـ أما أنا و (سلوى) فسنقوم بفحص المنطقة التى لقى فيها هذا المسكين مصرعه .

* * *

انحنت (سلوى) على الأرض ، وتناولت ورقة من أوراق الشجر الذابلة المتناثرة فى كل مكان ، وتأملتها باهتمام ، ثم التفتت إلى (نور) ، وقالت :

ـ انظر إلى هذه الورقة يا (نور) .. إنها تبدو وكأن أطرافها قد ذابت تماما .

تطلّع (نور) إلى الورقة ، ثم عاد يفحص بنظره المنطقة ، التى تجمع فى صفاتها بين المناطق الجبلية والغابات ، وقال :

ـ إن المنطقة بأكملها تبدو وكأنها قد تعرضت إلى بعض العنف ، ففروع الأشجار مهشمة ، والأوراق منتزعة ..

ثم أشار إلى تجويف مستطيل ، وقال :

ـ ومن الواضح أن شيئا ما قد زحف فوق هذا الجزء من الأرض .. شىء غير منتظم الأبعاد ، ولكنه ثقيل الوزن ، وهذا يبدو واضحا من عدم انتظام الجزء الهابط من الأرض ، ومن عمق التجويف .

ضحكت (سلوى) ، وربّتت على كتفه قائلة :

ـ إنك تذكرنى بأجدادنا العرب القدماء يا زوجى العزيز .. لقد كانوا أساتذة فى فن تقصى الآثار .

لم يلتفت (نور) إلى دعابتها ، وإنما انحنى يفحص الأثر بدقة واهتمام ، فهزت هى كتفيها بضيق ، وركلت بعض أوراق الأشجار الذابلة ، وأخذت تسير بلا مبالاة ، واضعة كفيها فى جيب سترتها ، ثم تعلّق بصرها فجأة بتجويف منتظم ، أخفته بعض الأوراق الذابلة بجوار أحد

الأشجار ، فاقتربت منه ، وانحنت تفحصه بدقة ، ولم تلبث أن اتسعت عيناها دهشة ، وهتفت تنادى (نور) ، الذى أسرع نحوها فى خطوات واسعة ، وتطلّع بدوره بدهشة بالغة إلى الأثر ، وقال :

ـــ يا إلهى !! إنها قدم حيوان معروف ، ولكنّ حجمها ..

وقبل أن يتم عبارته ، أمسكت (سلوى) بمعصمه فى رعب ، وصاحت :

ـــ (نور) .. أصغِ بسمعك جيّدا .. هناك شىء ما يقترب منا خلف هذه الأعشاب المتشابكة الضخمة .

أمسك (نور) ذراعها ، وتراجع بضع خطوات إلى الوراء وهو ينتزع مسدسه الليزرىّ ، ويحدّق بإمعان فى الأكمة الكثيفة من الأعشاب ، على حين ازداد الصوت ارتفاعا واقترابا .

وفجأة انزاحت الأشجار والأعشاب ، وظهر ذلك

الجسم الذى يقترب منهما ، واتسعت عينا (نور) ذهولاً ، وازداد ضغط قبضته على مقبض مسدسه ، أمّا (سلوى) فقد ارتجف جسدها بقوة ، ثم انطلقت من حنجرتها صرخة مدوية .. ارتج لها كيانها بأكمله .

* * *

شعر الحارس (نعيم) بالاحترام والإعجاب ، وهو يتأمل (محمود) الذى استغرق فى فحص الجهاز الحرارى بأصابع خبيرة متمرسة ، وخطوات هادئة واثقة ، ولم تمض فترة طويلة حتى اعتدل (محمود) فى مقعده ، وقال بهدوء :

ـــ حسنا .. يمكننا استبعاد فكرة فشل الجهاز تماما ، فهو يعمل على أكمل وجه .

وضع (نعيم) كوبا من الشاى الساخن أمام (محمود) ، وقال :

ـــ إننى أومن بذلك تماما يا سيدى ، فهذا النوع من الأجهزة لا يصاب بالتلف بسهولة .

تناول (محمود) رشفة من الشاى الساخن ، وقال :

ــ هذا صحيح .. انظر مثلا إلى الظلال الواضحة التى ترتسم فوق الشاشة ، موضحة كل تحركات (نور) و (سلوى) .

التفت (نعيم) إلى الشاشة البرتقالية ، وتأمل ظلال (نور) و (سلوى) الحمراء ، وقال :

ــ نعم .. إن حركاتهما واضحة للغاية ، فها هو ذا يبتعد بخطوات عصبية ، على حين انحنى الآخر يفحص شيئا ما على الأرض .. وها هو ذا الثانى ينحنى بدوره ليفحص شيئا آخر .. و ....

وفجأة بتر (نعيم) عبارته ، وتدلت فكه بدهشة ، على حين قفز (محمود) من مقعده ، وأشار إلى الشاشة بذعر صائحا :

ــ انظر يا (نعيم) .. هذا الظل الذى ظهر على الشاشة توا ، ويقترب منهما .



وظهر ذلك الجسم الذى يقترب منهما واتسعت عينا (نور) ذهولا ، وازداد ضغط قبضته على مقبض مسدسه ..

ارتجف جسد (نعيم) وهو يقول بفزع :

— رباه !! إنهما لم يشعرا بوجوده بعد .. لا .. لقد تنبها ، وها هما ذان يتراجعان بذعر .

جحظت عينا (محمود) ذهولا وهو يصيح :

— مستحيل !! مستحيل !! ليس هناك وجود لمثل هذا الكائن .. أعنى ليس بمثل هذا الحجم .

ثم تحشرج صوته وهو يستطرد بذعر ليس له مثيل :

— حتى فى أفلام الرعب .. لم يتصور أحد وجود فأر يبلغ حجمه ثلاثة أضعاف حجم الإنسان العادى .. فأر يمكنه افتراس إنسان كامل فى لحظة واحدة .

* * *

٤ — أنياب الموت ..

تراجع (نور) و (سلوى) بذعر ، وهما يتطلعان بوجل إلى الفأر الرمادىّ العملاق ، الذى حدقهما بعينين تفيض منهما الوحشية .. كان طوله يبلغ خمسة أمتار على الأقل ، وأنيابه البارزة يبلغ طول الواحد منها ثلاثين سنتيمترًا تقريبًا ، تنعكس عليها أشعة الشمس ، فتبرق بريقًا يبعث الرعب فى القلوب .

تعلقت (سلوى) وهى ترتجف بذراع (نور) ، وصاحت برعب :

— (نور) .. هذا مستحيل !! إن ذلك المخلوق البشع سيفترسنا فى لحظة واحدة !! انظر إلى مخالبه !!

لم يلتفت (نور) إلى عبارتها . فقد كان عقله قد استوعب الموقف برغم غرابته . وبدأ فى إعداد خطته للخروج من هذا المأزق .. كان يحاول مراجعة كل

معلوماته عن الفئران البرية .. كان يعلم أن الفأر بطبعه حيوان جبان شرس ، وعلى هذه المعلومة بالذات بنى خطته ..

وبسرعة خاطفة رفع مسدسه الليزرىّ ، وأطلق من فوهته دفقة من الأشعة . مرقت من أذن الفأر ، فشطرتها نصفين .. تراجع الفأر وهو يطلق صيحة رفيعة شرسة . ثم انكمش ، وعاد يرتفع واقفا على قائمتيه الخلفيتين ، وهو يحدّق فى فريسته بإمعان ..

كانت طبيعته الشرسة تدفعه للهجوم ، ولكنّ جبنه يجبره على الابتعاد عن تلك الفريسة التي سببت له ذلك النوع من الألم . ولو أن الأمر اقتصر على هاتين الصفتين لركن الفأر إلى الفرار ، ولكنّ هناك غريزة أقوى كانت تتحكم فى انفعالاته .. غريزة الجوع .

أما (نور) فقد كان يحاول بقدر الإمكان الإبقاء على حياة الفأر ، ربّما بسبب كراهيته الشديدة للقتل والدمار ، أو ربما بسبب طبيعته العلمية ، التي تدفعه إلى

محاولة الحفاظ على هذه العينة الحية ، التي هى بلا ريب نتاج ظاهرة غير طبيعية ، أو تجربة علمية مدهشة ، ولكنّ الفأر العملاق عاود هجومه بشراسة أشد ، وقد كشّر عن أنيابه اللامعة ، ومد مخالبه القوية نحو (سلوى) ..

أطلق (نور) دفقة أخرى من أشعة مسدسه ، احتكت بعنق الفأر ، الذى زأر بصوت مرتفع مرعب ، ولكنه واصل هجومه وسعيه خلف طعامه ..

لم يكن هناك مفر أمام (نور) ، فدفع زوجته — التي سمّرها الرعب — بعيدا عن مخالب الفأر العملاق ، الذى مزق سترته الجلدية ، ولكنّه قفز إلى الخلف ، وأطلق أشعة مسدسه بدقة وإحكام وإصرار . وشق خط من أشعة الليزر الزرقاء الهواء ، واخترق عينى الفأر العملاق ، وعبر من خلال خلايا مخه الصغير ، ثم نفذ من مؤخرة رأسه عبر جمجمته السميكة ، قبل أن يتلاشى فى الهواء .

ترنح الفأر العملاق لحظة، ثم سقط كجلمود صخر، مرتطمًا بالأرض، وتصاعدت أتربة كثيفة، فسعلت (سلوى) بقوة، وصاح بها (نور):

- هل أنت بخير يا (سلوى)؟

سعلت مرة أخرى، وأخذت تلوّح بكفها أمام وجهها، فى محاولة لطرد الأتربة وهى تقول:

- نعم يا (نور).. إننى لا أصدق أننا قد نجونا.

وفى تلك اللحظة رأى (نور) (محمود) و (نعيم) يهرعان نحوهما، يتبعهما عدد من العاملين فى المعسكر، فى نفس الوقت الذى ارتفعت فيه أصوات الطوافة، التى تقل الدكتور (حجازى)، وهى تقترب من المعسكر، فابتسم (نور)، وقال وهو يتأمل جثة الفأر العملاق:

- يبدو يا (سلوى) أننا سنطلب من الدكتور (حجازى)، أن يقوم بعمل يختلف بعض الشىء عمّا اعتاده.

ثم ضحك وهو يستطرد بمرح:

- سيكون عليه تشريح جثة فأر عملاق.

* * *

تطلّع الدكتور (محمد حجازى) بدهشة إلى جثة الفأر العملاق، الذى تم نقلها إلى حجرة خاصة بالمعسكر، ثم فتل شاربه الأصفر، وهزّ رأسه وهو يقول:

- حسنًا.. إننى لا أمانع فى إجراء التشريح، ولكننى أحتاج إلى طبيب بيطرىّ، فمعلوماتى عن ترتيب أحشاء مثل هذه الحيوانات، ونسبها الطبيعية منعدمة تقريبًا.

قال الدكتور (رضا) ببساطة:

- يمكنك الاستعانة بالدكتور (آدم الطيب)، إنه يقطن (وادى حلفا) على بعد كيلومترات قليلة من هنا.

سألته (سلوى) بفضول:

- مَنْ (آدم الطيب) هذا؟

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال :

ـ إنه طبيب بيطرى سودانى .. ويمكنك القول إنه أعظم الأطباء البيطريين على الإطلاق .. وسيسعدنى معاونته فى هذا العمل .

قال (نور) باهتمام :

ـ سأعمل على إحضاره بأسرع وسيلة ممكنة يا دكتور (حجازى) .

ثم قطّب حاجبيه ، وهو يُرْدِف بضيق :

ـ عسى أن ننتهى سريعا من هذه المهمة ، التى تبعث فى نفسى القلق .

* * *

أوقف (نور) سيارته أمام منزل صغير مصنوع من (البولى إيثيلين) فى (وادى حلفا) ، وقفز منها متوجها بخطوات سريعة إلى باب المنزل ، وطرقه بطريقة تدل على العجلة ، ثم انتظر وهو ينقل قدميه بعصبية ..

لم تمض لحظات قليلة حتى فتح الباب ، وظهر على

عتبته رجل متوسط الطول ، بنى البشرة ، غليظ الشفتين ، كبير الأنف ، يرتدى منظارًا طبيًا ، ويكلل رأسه شعر جَعْدٌ ، أشيب تمامًا .

تأمل الرجل (نور) وهلة ، ثم قال بصوت هادئ :

ـ هل هناك خدمة يمكننى أن أقدمها لك أيها الشاب ؟

ابتسم (نور) على الرغم منه عندما تأمل ملامح الرجل ، التى تدل على الطيبة والهدوء ، وغادرته عصبيته وهو يقول :

ـ نعم يا سيدى .. إذا كنت الدكتور (آدم الطيب) .

أومأ الرجل برأسه ، وقال بهدوء :

ـ إننى هو .

شرح له (نور) الأمر بعبارات مقتضبة ، ولكنه استوعبها بسرعة ، وظهرت على وجهه علامات الاهتمام العميق وهو يقول :

— حيوانات عملاقة ؟.. عجبا !!.. لقد أجريت عدة تجارب فى هذا الشأن ، ولكن إحداها لم تكلل بالنجاح .

نظر إليه (نور) بدهشة ، وقال :

— ولكن لماذا تجرى هذا النوع من التجارب يا سيدى ؟

مطّ الدكتور (آدم) شفتيه ، وقال :

— لقد كان ذلك ضروريا فى أحد الأيام يا بنى .. بعد ذلك الطاعون الرهيب الذى قضى على ثلاثة أرباع الماشية عام ألف وتسعمائة وثمانية وتسعين .. كان العالم بأسره يطمح فى استباط ماشية عملاقة تغطى النقص الهائل فى اللحوم .

زوى (نور) ما بين عينيه مفكرا ، وساد الصمت لحظة قبل أن يقول ببطء :

— حسنا يا دكتور (آدم) .. ستخبرنى بتفاصيل تجاربك السابقة ، ونحن فى طريقنا إلى معسكر جبل (مقسم) .

ثم صمت لحظة ، وأردف قائلا :

— قد يكون فى ذلك كشف الكثير من غموض هذا اللغز المعقّد .

* * *

انهمك الأطباء الثلاثة .. الدكتور (حجازى) والدكتور (آدم) والدكتور (رمزى) فى تشريح جثة الفأر العملاق ، على حين جلس (نور) و (سلوى) و (محمود) مع الدكتور (رضا) فى غرفته يتحاورون فيما توصلوا إليه من معلومات ، فقال (نور) :

— لقد اعتمد الدكتور (آدم) فى تجاربه السابقة على إيقاف مفعول المواد المهبطة لهرمون النمو ، الذى تفرزه الغدة النخامية فى الجسم ، بحيث يستمر هذا الهرمون فى العمل ، فيتضخم حجم الأجسام إلى درجة غير محدودة .

قال (محمود) :

— أعتقد أن بعض التجارب قد جرت فى هذا

الشأن ، باستخدام الأشعة السينية فى منتصف الثمانينات من القرن العشرين .

أومأ الدكتور (رضا) برأسه موافقا ، وقال :

ـ هذا صحيح ، ولكن هذه التجارب لم يكتب لها النجاح ، ولقد عارضها الكثيرون من حيث المبدأ ، فبقرة واحدة فى حجم الفيل تحتاج إلى مرعى كامل لغذائها ، وبهذا تنتفى الجدوى الاقتصادية للمشروع .

هزّت (سلوى) رأسها فى حيرة ، وقالت :

ـ ولكن هذه التجارب لا تحل لغز تلك الظلال المفزعة ، التى ظهرت على شاشة جهاز الفحص الحرارى ، وهاجمت المسكين (سلطان) ، وانتزعت قلبه .

قال (نور) :

ـ إننا نحاول جمع أقصى ما نستطيعه من معلومات يا عزيزتى ، عسى أن يقودنا ذلك إلى فك بعض الغموض الذى يكتنف هذا اللغز .

ثم نظر فى ساعته الذرية ، وأردف :



انهمك الأطباء الثلاثة .. الدكتور (حجازى) والدكتور (آدم) والدكتور (رمزى) فى تشريح جثة الفأر العملاق ..

ـ لقد استغرق أطباؤنا الثلاثة ما يقرب من الساعتين فى تشريح جثة هذا الفأر العملاق .

ضحك الدكتور (رضا) ، وقال مداعبا :

ـ فلنحمد الله أن الفئران جميعها ليست بهذا الحجم ، وإلا توقفت القطط عن مطاردتها .

نظرت إليه (سلوى) ، وقالت فى دهشة :

ـ عجبا .. هل تمتلك القدرة على المزاح فى مثل هذه الظروف ؟

صمت الدكتور (رضا) لحظة ، وتحولت ملامحه إلى الجدية البالغة وهو يقول :

ـ لكل منا طريقته فى مقاومة الخوف والقلق يا سيدتى . فأنت تبكين ، وزوجك يفكر ، وأنا أمزح . ولكن ذلك لا يعنى عدم مبالاتى أو عدم تقديرى للموقف .

شعرت (سلوى) بالخجل من رده الهادئ المقنع ، وهمت بالاعتذار عندما دخل الدكتور (حجازى) إلى

الغرفة بادى الإرهاق ، يجفف وجهه بمنشفة سميكة ، فتعلقت به الأبصار وهتف (محمود) بلهفة :

ـ ماذا وجدتم يا دكتور (حجازى) ؟.. ما الذى توصلتم إليه ؟

جلس الدكتور (حجازى) على أقرب مقعد إليه ، وتنهد قبل أن يقول :

ـ لقد كانت عملية بشعة مقززة للغاية ، ولن أكررها مرة ثانية .. إننى أفضل الأجسام البشرية .

سأله (نور) باهتمام) :

ـ حسنا .. وماذا وجدتم فى جثة هذا الفأر ؟

اعتدل الدكتور (حجازى) ، وقال :

ـ لقد وجدنا أنكما لم تكونا أول ضحايا هذا الوحش المفترس . فلقد عثرنا فى معدته على بقايا امرأة آدمية ، التهمها منذ سبع ساعات فقط ، ويبدو أنها لم تشبع جوعه .

أغلقت (سلوى) عينيها باشمئزاز وأسف ، على

حين استطرد الدكتور (حجازى) قائلا :

ـ أما عن باق نتائج التشريح فستصيبكم بالذهول ، فما توصلنا إليه يعد قنبلة علمية على كل المستويات .. وأية قنبلة !!

* * *



٥ ـ الكشف المذهل ..

ضغط الدكتور (رضا) على جانبى رأسه مستخدما كلتا راحتيه بقوة ، وأغلق عينيه وهو يهز رأسه . وكأنما يحاول التأكد من أن ما يحدث حوله مجرد حلم بشع ، ثم قال بهدوء يخالف ما يعتمل فى نفسه :

ـ أعدْ على مسامعى ما سبق أن أخبرتنا به يا دكتور (آدم) .. أرجوك .

حرّك الدكتور (آدم) رأسه بما يدل على تفهمه لغرابة ما توصلوا إليه . وألقى نظرة سريعة على أفراد الفريق الذين يجلسون ساهمين ، وقال :

ـ حسنا .. لقد قمنا بإجراء الصفة التشريحية لجثة الفأر العملاق ، ولقد كنت أظن فى البداية أنه مجرد عينة ناجحة لنفس التجارب التى سبق أن أجريتها من قبل ؛ ولذا فقد بدأنا بفحص الغدة النخامية . وهنا راعنا ما وجدناه .. لقد كانت خلايا

الجسد نفسها أكبر من حجمها الطبيعي بعشر مرات على الأقل ، حتى أنه كان من الممكن فحص الخلية الواحدة باستخدام عدسة عادية دون الحاجة إلى ميكروسكوب إليكترونى أو أيونى .. لقد كشفنا أن جسد ذلك الفأر قد نما كله دفعة واحدة ، وليس عن طريق استمرار النمو كما هو الحال فى تجارب استمرار هرمون النمو .

هزت (سلوى) رأسها فى حيرة ، وقالت :

— لست أفهم شيئا من هذا يا سيدى .. عفوا .

ارتبك الدكتور (آدم) ، فهو لا يستطيع شرح الأمر بأسلوب أبسط من ذلك ، على حين ابتسم الدكتور (حجازى) ابتسامة أبوية حانية ، وقال :

— حسنا يا عزيزتى ، سأشرح لك الأمر بصورة مبسطة للغاية .

ثم اعتدل ، وقال متابعا :

— فى خلال مراحل النمو المختلفة من الطفولة وحتى

الكهولة ، يزداد الجسم حجمًا ووزنا وطولًا ، وتتغير مقاييسه ومعاييره باستمرار ، ولكن حجم الخلية الواحدة من خلاياه يبقى ثابتا ، فلا يمكننا مطلقا التفريق بين خلية مأخوذة من جسد طفل رضيع وأخرى من جسد شاب أو كهل ، رجل أو امرأة .. ولو أننا نجحنا بوسائل صناعية فى حث هرمون النمو على الاستمرار فى العمل ، فسنحصل على عمالقة أطول وأعرض بكثير من الحجوم الطبيعية ، ولكنّ حجم الخلية الواحدة فى أجسادهم سيبقى ثابتا كما هو الحال فى البشر ، نُحفاء كانوا أم بُدناء .. أما فى حالة الفأر العملاق فحجم خلاياه أيضا قد تضاعف بصورة غير طبيعية علميًّا .. تماما مثلما يحدث لو أننا قمنا بتكبير صورة فوتوجرافية ، فتزداد النسب جميعا بمقياس واحد .

تدخل (نور) قائلا :

— هل تعنى أن ذلك مستحيل علميًّا يا سيدى ؟

مطّ الدكتور (آدم) شفتيه ، وأومأ برأسه وهو يقول :

— تماما أيها الشاب .

زوى (محمود) ما بين حاجبيه ، وقال :

— عجبا .. إن الأمر يزداد تعقيدا فى كل مرة .

استدار إليه (نور) قائلا :

— ربما لا يا عزيزى (محمود) .

ثم عاد يلتفت إلى الدكتور (حجازى) ، قائلا :

— متى يمكنك الانتهاء من تشريح جثة (سلطان) يا سيدى ؟

هز الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :

— بعد ساعة واحدة على الأكثر .

ابتسم (نور) بهدوء ، وقال :

— حسنا يا سيدى .. سنؤجل خطوتنا التالية حتى نعلم بما سوف تتوصل إليه من خلال هذا العمل .

* * *

كانت الساعة تشير إلى التاسعة مساء ، عندما خرج الدكتور (حجازى) من غرفة الفحص وهو يجفف

كفيه ، وينزع قفازيه الرقيقين ، ومن خلفه خرج (رمزى) بادى الإرهاق ، وتناول الدكتور (حجازى) كوبا كبيرا من الماء البارد ، وجرعه دفعة واحدة ، على حين أمسك (نور) بذراع (رمزى) ، وسأله باهتمام :

— حسنا .. هات ما لديك .

هزّ (رمزى) كتفيه فى حيرة ودهشة ، وهو يقول :

— لن تصدّق ما وجدناه أيها القائد .. إننى أفكر فى إعادة قراءة كل المعلومات التى سبق أن درستها فى كلية الطب .

نظر إليه (نور) بدهشة ، وتمتم قائلا :

— إلى هذا الحد ؟

أشار إليه الدكتور (حجازى) بسبابته قائلا :

— وأكثر من هذا يا بنىّ .. لقد أضفنا اليوم فقط إلى ألغاز الطب ما لم يحدث خلال السنوات الخمس الماضية .

صاحت (سلوى) بصوت يموج لهفة وفضولا :

ــ أخبرنا ما وجدت بالله عليك يا سيدى .. إننى لا أحتمل هذه المماطلة .

جلس الدكتور (حجازى) ، وعقد كفّيه أمام وجهه ، ثم قال بهدوء :

ــ مهلا يا بنيّتى .. إننى أحاول استيعاب الأمر أولا ..

تعلقت به أبصار الجميع عندما تنهّد بعمق ، وبدأ يقول :

ــ لقد تصوّرت فى البداية أننى سأقوم بفحص جثة رجل شق أحدهم صدره ، وانتزع قلبه عنوة ، ولكننى ما أن شاهدت الرجل ، حتى فوجئت بأن الأمر غير ما توقعت . فلقد وجدت منطقة الصدر ما بين الفراغ الضلعى الثانى والخامس مفرغة من الخلايا ، على شكل مستطيل بطول المنطقة وعرض خمسة سنتيمترات ، أما الضلوع نفسها فلم تصب بأضرار على الإطلاق ، وهى سليمة تماما .

صاح الدكتور (رضا) بدهشة :

ــ وكيف تم انتزاع قلب الرجل إذن ؟

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال :

ــ مهلا يا دكتور (رضا) .. سأجيب عن كل تساؤلاتك إذا ما تركتنى أتحدث .

ثم عاد يتنهد ، واستطرد قائلا :

ــ وهذا التجويف فى منطقة الصدر عجيب للغاية ، فلقد قمت بفحص الخلايا بالميكروسكوب الأيونى ، فلم أجد خلية واحدة مصابة ، فإما أن أجد خلايا سليمة تماما ، أو لا خلايا على الإطلاق ، وكأن الشىء الذى صنع هذا التجويف قد التقط الخلايا واحدة بعد الأخرى بملقط ميكروسكوبى .

تمتم (نور) بصوت خافت :

ــ لم يكن هناك ما يكفى من الوقت .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وتابع بهدوء :

ــ أما القلب نفسه فلم ينتزع كما تصورنا .. إلا إذا

كان هو الآخر قد انتزع خلية بعد أخرى ، فالوريدان الأجوف العلوى ، والسفلى ، سليمان تماما وكاملان ، حتى الحلقات التى تحكم تدفق الدم منهما كاملة ، وكذلك الشريان الرئوى والأوردة الرئوية الأربعة والأورطى .. كل شيء سليم تماما ، حتى الصمامات الداخلية التي تحكم تدفق الدماء من الأذينين إلى البطينين سليمة كذلك ، وموجودة ، والمشدات الحديبية وغلاف القلب .. كل شيء موجود عدا جدران القلب نفسه ، ولقد سقطت هذه الأشياء فى تجويف الصدر حتى يخيل للناظر أن القلب قد انتزع بأكمله .

ساد الصمت فى الغرفة ، وكل من الحاضرين يحاول استيعاب المعلومات العجيبة التى أدلى بها الدكتور (حجازى) ، حتى قال الدكتور (آدم) :

ـــ حتى أعظم الجراحين لا يمكنه فعل ذلك .. هذا مستحيل !! الأمر يزداد غموضا بالفعل .

كان (نور) مستغرقا فى تفكير عميق ، حتى سمع

عبارة الدكتور (آدم) ، فرفع رأسه قائلا :

ـــ إننى أخالفك فى هذا الرأى يا دكتور (آدم) .

نظر إليه الجميع بدهشة ، فنهض من مقعده ، واستطرد قائلا بهدوء :

ـــ ما زالت هناك نقاط تنقصنى أيها السادة ، ولن يمكننى حل غموضها إلا إذا اقتفيت أثر هذا الفأر العملاق ، لأعلم جيدا من أين أتى .

تمتمت (سلوى) بقلق :

ـــ ولكنها مهمة غير مأمونة العواقب يا (نور) .. الله وحده يعلم ماذا يمكن أن نجد هناك .. ربما ثعبان عملاق ، أو حتى عقرب فى حجم السيارة .

هز كتفيه بلا مبالاة ، وقال بلهجة تنم عن الإصرار :

ـــ لقد قررت ذلك يا زوجتى العزيزة ، فهذا واجبى .. سأذهب إلى حيث بدأ هذا الفأر العملاق رحلته ، وليتبعنى من يرغب منكم ، وسأذهب وحدى وليكن ما يكون .

* * *

٦ ـ رحلة الفزع ..

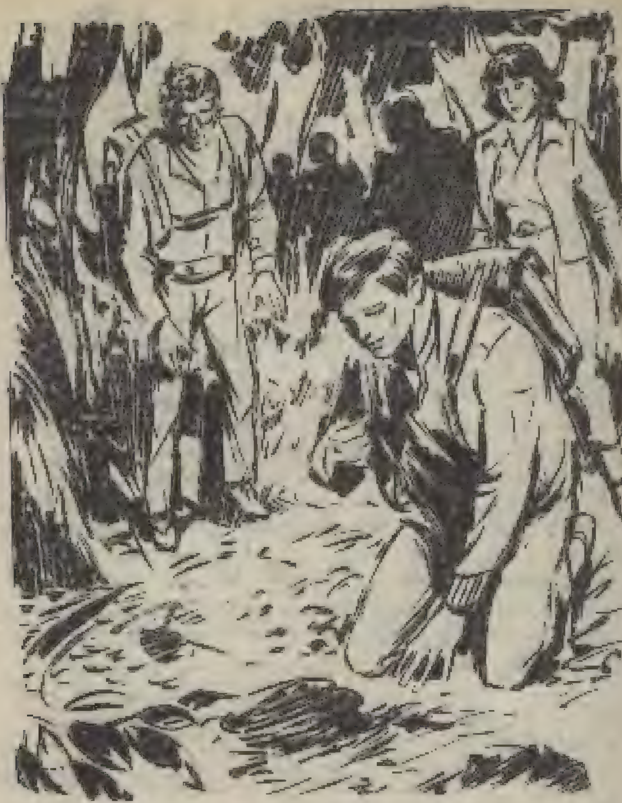
أشرقت الشمس على جبل (مقسم) ، وألقت بظل ضخم على مجموعة رجال وامرأة ، يسيرون بخطوات ثابتة في اتجاه الدغل القريب من معسكر الأبحاث الجيولوجية ، وكل منهم يحمل خلف ظهره حقيبة جلدية ، متوسطة الحجم ، وبعض الأربطة ..

كان (نور) يسير في مقدمة الفريق ، وإلى جواره الدكتور (رضا) ، يتحرك ببساطة ومرح ، وخلفهما يسير الدكتور (آدم) و (سلوى) و (محمود) و (رمزى) ، أما الدكتور (حجازى) فبرغم موافقته على المضى بصحبتهم ، إلا أن استدعاء عاجلا أجبره على العودة إلى مدينة (بنها) حيث يعمل ..

كان الدكتور (رضا) يسأل (نور) ضاحكا :

ـ لست أدرى لماذا الإصرار على أن نقطع الرحلة





النحيّ يفحص آثار الفأر العملاق حيث دار الصراع بينهما سابقا ..

سيرا على الأقدام أيها الرائد ؟ ألم يكن من الأفضل استغلال المخترعات البشرية الحديثة ، كالسيارات الصاروخية مثلا ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ لا يمكنك اقتفاء آثار حيوان وسط أدغال متشابكة وأنت تقود سيارة صاروخية ، بسرعة خمسمائة كيلومتر في الساعة يا سيدى .

ضحك الدكتور (رضا) ، وقال :

ـ هذا صحيح ، ولكن الأمر يذكرنى بالمستكشفين القدماء .

لم يستمع (نور) إلى عبارة الدكتور (رضا) الأخيرة ، فقد انحنى يفحص آثار الفأر العملاق حيث دار الصراع بينهما سابقا ، ثم نهض وأشار بيده إلى منطقة واسعة ، تقل فيها الأشجار ، وقال :

ـ حسنا يا رفاق .. هذا هو اتجاهنا .

تبعه الجميع بصمت وهو يجتاز الدغل المواجه ، وكل

منهم يفكر في هذه الرحلة التي يعلم الله وحده ما تخبئه لهم نهايتها .

* * *

أشار عقربا الساعة إلى الثانية عشرة ظهرًا ، عندما استندت (سلوى) إلى جذع شجرة ضخمة ، وقالت بضعف :

ـ لن أخطو خطوة واحدة قبل أن أحصل على قدر كبير من الراحة .

قال (نور) بضيق :

ـ لا بأس من قطع بضعة كيلومترات أخرى ، فالآثار تشير إلى أننا نقترب من مصدر تضخم هذا الفأر ، فانطباعات أقدامه على الأرض أصبحت أصغر من ذي قبل .

حاولت (سلوى) مواصلة السير ، إلا أن قدميها لم تسعفاها ، فترنحت ، وعادت تستند إلى جذع الشجرة ، وهنا ربّت الدكتور (رضا) على كتف

(نور) ، وقال بصوت حانٍ :

ـ مهلًا يا بنيّ .. القافلة تسير بقدر احتمال أضعفها .. ربّما كان بإمكانك مواصلة السير حتى غروب الشمس ، ولكنني واثق أنك الوحيد القادر على ذلك بيننا ، فلا سنّي ولا سنّ الدكتور (آدم) تسمحان بذلك .

نظر (نور) إلى آثار أقدام الفأر بأسف ، ثم خلع (الجربندية) المعلقة على ظهره ، وقال :

ـ حسنًا .. سنستريح لمدة ساعة ، ثم نواصل السير .

ولم يكد ينهي عبارته حتى كان الجميع قد وضعوا أحمالهم ، وأخرج كل منهم من حقيبته شيئًا يشبه الوسادة المطوية من الكاوتشوك ، وما أن جذبوا خيطًا يتصل بها حتى انفكت ثناياها ، وتمددت لتصنع خيمة أنيقة .. ولم تمض لحظات ، حتى كان (محمود) و (سلوى) قد استغرقا في نوم عميق ، فابتسم الدكتور (آدم) ، وقال :

— هل رأيت كم كانا متعبين ؟

مطّ (نور) شفتيه ، وقال بضجر :

— كان من الأفضل ألاّ يحضرا معنا .

قال (رمزى) فى حيرة :

— لقد فعلا ذلك حتى لا يغضباك أيها القائد .

ربّت الدكتور (رضا) على كتف (رمزى) مهدئا ، والتفت إلى (نور) قائلاً :

— هل رأيت كيف يحولنا التعب إلى مجموعة عصبية مرهقة ؟.. حتى الآلات يا ولدى تحتاج إلى قدر من الراحة .. ثم إن هذه الراحة فرصة مناسبة ليحدث كل منا الآخر بما يراه فى هذا الأمر .

تخضب وجه (نور) خجلا ، فقد شعر بخطئه ، فقال بشجاعة :

— معذرة .. لقد أخطأت .. إننا فعلاً بحاجة إلى بعض الراحة .

نظر إليه الدكتور (رضا) بإعجاب ، وأسرع

(رمزى) يقول مديرا دفة الحديث :

— أعتقد أنه من الواضح أن هذا الفأر أخذ يزداد حجما بالتدريج ، كما تدلّ عليه آثار أقدامه .

رفع الدكتور (آدم) سبابته أمام وجهه ، وقال :

— صدقنى يا ولدى .. أننى أشعر بالراحة ، وإنما يزيدلى ذلك تعجبا .

سأله (نور) باهتمام :

— ولم يا سيدى .

أشاح الدكتور (آدم) بذراعه ، وقال :

— لو أن آثار أقدام الفأر ظلت على حجمها إلى نقطة محدودة لقلت : إنه نتاج تجربة جديدة من تجارب النمو الفائق ، ولكنّ تصاعد آثار قدميه بالتدريج يشير إلى أنه قد تعرّض إلى شىء ، ما أدىّ إلى تزايد حجمه تدريجيا وبسرعة كبيرة ، حتى أننا لا نستطيع الجزم بما يمكن أن يصل إليه حجمه لو أننا لم نسارع بالقضاء عليه .

تمتم (رمزى) بصوت خافت :
ـ تفسير مفزع .
أجابه الدكتور (رضا) قائلا :
ـ ولكنه منطقى طبقًا للآثار الواضحة يا (رمزى) .
ظل (نور) صامتا يفكر ، ثم رفع رأسه ، وقال :
ـ هل يعنى ذلك أنه كان من الممكن أن يتحول هذا الفأر إلى حجم يقارب حجم الجبال الشاهقة ؟
هزّ الدكتور (آدم) كتفيه ، وقال :
ـ من يدرى ؟
أطرق (نور) برأسه ، وتمتم قائلا :
ـ نعم .. من يدرى ؟
ثم رفع رأسه يواجه ثلاثتهم وهو يقول :
ـ ولكن أين الدليل ؟
وتحوّل بنظره نحو (رمزى) بدهشة ، فقد كان هذا الأخير رافعا رأسه إلى أعلى بذهول ، وقد تدلت فكه

السفلى بشكل مفزع ، وسرعان ما انتقل هذا التعبير إلى وجه الدكتور (رضا) الذى يجلس بجواره ، وتنبه (نور) والدكتور (آدم) فجأة إلى أن ظلًا ضخمًا قد غطاهم تمامًا ، مما حدا بـ (نور) إلى الالتفات للخلف ، والتطلع إلى حيث يحدّق (رمزى) والدكتور (رضا) ، ولم يكد يفعل حتى قفز من مكانه كالملسوع ، فعلى ارتفاع سبعة أمتار كانت هناك عينان واسعتان ضخمتان ، تحدّقان فيهم بهدوء .. عينان لأضخم ضفدعة وقع عليها بصر إنسان على مرّ العصور .

* * *

أخرج (نور) مسدسه الليزرى بسرعة البرق ، وصوّبه نحو الضفدع الضخم ، ولكن الدكتور (آدم) صاح فيه بجزع :
ـ لا .. لا تقتله .. إنه العينة الوحيدة الحيّة فى العالم أجمع .

صاح (رمزى) بحنق :

ـ ألا تخشى أن نكون فى نظره الغذاء الوحيد المتوافر يا دكتور (آدم) ؟

وكأنما نسى الدكتور (آدم) خوفه أمام غريزته العلمية ، فصاح :

ـ لا .. لا .. إن الضفادع لا تتغذى إلا على الحشرات فقط .

قال (نور) دون أن يبعد عينيه عن الضفدع الضخم :

ـ لا تنس أننا أمامه الآن مجرد حشرات يا سيدى .

وكأنما أراد الضفدع حسم النقاش ، فألقى بلسانه الطويل فجأة ، محاولا اقتناص الدكتور (آدم) ، الذى صرخ وهو يقفز متحاشيا اللسان الضخم ، الطويل اللزج ، وهنا لم يتردد (نور) ، فأطلق أشعة مسدسه نحو رأس الضفدع تماما .

أصدر الضفدع الضخم صوتا قويا مزعجا ، عندما

اخترقت الأشعة رأسه ، ولكنه برغم ذلك خطا خطوة واسعة ، كاد بواسطتها أن يهشم جسد (سلوى) ، التى قفزت خارج خيمتها الكاوتشوكية برعب ليس له مثيل ، وهنا صاح الدكتور (آدم) برعب :

ـ بين العينين تماما يا (نور) .. إن مخ الضفدع صغير و ...

لم ينتظر (نور) حتى يتم الدكتور (آدم) عبارته ، فقد مدّ الضفدع الضخم لسانه اللزج ، محاولا اقتناص (سلوى) ، التى أخذت تعدو بفزع نحو زوجها ، الذى صوّب مسدسه بثبات ، وأطلق دفقة قوية من الأشعة مرقت بين عينى الضفدع تماما .

تعلقت (سلوى) بعنق زوجها ، وهى تجهش بالبكاء ، وجسدها يرتجف بشدة ، على حين سقط جسد الضفدع الضخم ، وسمع الجميع صوت تهشم بعض الأدوات ، وتصاعد الغبار قبل أن يسكن جسد الضفدع تماما .

وقف الجميع مشدوهين ، وبخاصة (محمود) ، الذى استيقظ من نومه عندما أطلق الضفدع صوته المزعج ، وتفادى بصعوبة جسده الضخم ، وهو يهوى على الأرض . ومضت فترة طويلة من الصمت قبل أن يقول الدكتور (رضا) بصوت متحشرج :

ــ يا إلهى !! إنه يبلغ ضعف حجم الفأر السابق .

قال (نور) بهدوء وهو يربّت على ظهر زوجته بحنان :

ــ هذا هو الدليل الذى كنا نحتاج إليه لتأكيد نظرية الدكتور (آدم) يا سيدى .

* * *



تعلقت (سلوى) بعنق زوجها ، وهى تجهش بالبكاء ، وجسدها يرتجف بشدة ..

٧ — طريق الأخطار ..

واصل الجميع سيرهم بصمت ، وبداخل رأس كل منهم تدور أفكار شتى .. كانت (سلوى) تفكّر فى ابنتها (نشوى) ، وفيما إذا كانت عودتها إليها مقدّرة أم لا ، والدكتور (آدم) يفكّر فى هذا الكشف العلمى المثير ، ومدى مساعدته فى تقدُّم العلوم الحديثة ، والدكتور (رضا) يشعر بإعجابه يتزايد بهؤلاء الشبان الذين يتحملون كل هذا القدر من الخطر والأهوال فى سبيل واجبهم ، و (رمزى) و (محمود) يفكران فى مصير القافلة ، بعد أن تحطم (جهاز الإرسال) ومخزون المياه ...

أما (نور) فقد كان أكثرهم استغراقا فى التفكير ؛ فداخل خلايا مخه دار استرجاع كل الأحداث السابقة ، ومنطقتها وترتيبها ، ومحاولة التوصل إلى حلّ منطقى لكل



هذا الغموض ، بالإضافة إلى أن عينيه لم تبتعدا مطلقا عن آثار الفأر ، الذى قارب العودة إلى حجمه الطبيعى ..

ولمّا طال الصمت ، قطعته (سلوى) وهى تحك ذراعها بعصبية قائلة :

ـ يبدو أننى أصبت ببعض الحساسية ، أو أنه البعوض .

نظر الدكتور (آدم) إلى البثور الحمراء التى ظهرت على ذراعها ، وقال :

ـ بل إنها الحساسية يا سيدتى .. يبدو أن جهازك المناعى لا يتلاءم مع جو هذه الأدغال شبه الاستوائية .

ابتسمت (سلوى) ابتسامة شاحبة ، وقالت :

ـ وما دخل جهازى المناعى يا سيدى ؟

شعر الدكتور (آدم) أنها فرصة مناسبة لتبادل الحديث ، وكسر هذا الملل والرتابة ، فانطلق يقول :

ـ معظم أمراض هذا العصر تعود إلى خلل الجهاز

المناعى يا سيدتى ، فهو الجهاز المسئول عن إنتاج الأجسام المضادة ، التى تهاجم كل جسم غريب يدخل إلى الجسد ، فالحساسية مثلا هى عبارة عن رفض الجسم لشىء ما مسّ الجلد ، وكثيرا ما يصاب الجهاز المناعى هذا بما يشبه الجنون ، فيبدأ فى إنتاج أجسام مضادة تهاجم أعضاءه نفسها ، وهذا ما نسميه بالجنون المناعى ، أو المناعة الذاتية الضدية .

قاطع (نور) حديثهما بقوله :

ـ أعتقد أننا سنضطر للتوقف هنا ، فلم يعد هناك أثر لأقدام الفأر .

سأله (رمزى) :

ـ هل تعتقد أنه قد بدأ رحلته من هذه النقطة ؟

كانت المنطقة عبارة عن دغل متشابك الأغصان ، كثيف الأشجار ، تطلّع إليه (نور) فترة قبل أن يحرك كتفيه قائلا :

ـ من يدرى ؟.. ربما .

ازدرد الدكتور (رضا) لعابه بصعوبة . وقال بلهجة حاول أن يكسوها بالمرح :

ـ فلتكن هذه هى جهنم ، المهم أن أتناول بعض الماء ، فحلقى قد جف تماما .

بعثت كلماته شعور العطش فى الجميع ، فتبادلوا النظر ، إلا أن (نور) قال بصرامة :

ـ سنضطر إلى قضاء الليل دون ماء يا سيدى ، فقد حلّ الظلام ، وسيكون من الخطورة خروجنا بحثا عن الماء ، وسنبدأ بحثنا مع أول أضواء الصباح .

قال الدكتور (رضا) :

ـ وماذا لو أننا لم نجد ؟

وضع (نور) حقيبته على الأرض ، وقال :

ـ سنجد يا دكتور (رضا) ، فلا تظن أن كل هذه الأعشاب ترتوى بأشعة الشمس فقط .

ساد الصمت تماما بعد عبارة (نور) ، وانهمك الجميع فى إعداد خيامهم للنوم ، وسرعان ما أطبق

الظلام ، وأوى كل منهم إلى خيمته ، وفى خيمة (نور) قالت زوجته (سلوى) :

ـ ألم تتوصل إلى شىء ما حتى الآن يا (نور) ؟

هزّ رأسه نفيا ، وقال :

ـ ليس بعد يا عزيزتى .. إننى أميل إلى نظرية الدكتور (آدم) ، ولكنها لا تفسر حادث مصرع الحارس (سلطان) ، فكل ما واجهنا حتى الآن أشياء معروفة وإن تضخم حجمها ، ولكنّ تلك الظلال المفزعة التى ظهرت على شاشة الفحص الحرارى ، هى لأشياء غير معروفة على الإطلاق .

قالت وهى تستند إلى كتفيه :

ـ ربما هى لأشياء معروفة ، ولكن كبر حجمها جعلها غير مألوفة .

أومأ برأسه موافقا ، وقال :

ـ نعم .. ولكن ما هى بالضبط ؟

زوت ما بين حاجبيها ، وهى تفكر بعمق ، إلا أن

صوت الدكتور (رضا) قطع أفكارها وهو يقول من خارج الخيمة بقلق :

ـ أيها الرائد .. هل استغرقت فى النوم ؟

أسرع إليه (نور) خارج الخيمة ، وسأله :

ـ ماذا حدث يا دكتور (رضا) ؟

كان وجه الدكتور (رضا) شاحبا ، وصوته مرتجفا وهو يقول :

ـ لقد تغلب شعورى بالعطش على خوفى ، فحاولت البحث عن مصدر للماء عندما ..

قاطعه (نور) قائلا بلهفة :

ـ علام عثرت يا دكتور (رضا) ؟

تردد الدكتور (رضا) لحظة ، ثم قال بصوت خافت :

ـ لقد عثرت على جثة رجل .

* * *

فحص (رمزى) جثة الرجل بعناية ودقة فترة

طويلة ، ثم رفع رأسه ، وقال :

ـ ربما لا يبلغ تقريرى نفس الدرجة من الدقة مثل تقارير الدكتور (حجازى) فى هذا الشأن ، ولكن ذلك الرجل لم يلق مصرعه بسبب أى من هذه الحيوانات المتضخمة ، وإنما مات بسكتة قلبية .

سأله (نور) باهتمام :

ـ وكيف أمكنك معرفة ذلك ؟

هزّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

ـ هناك عدد كبير من الخلايا المتحللة فى جدران بقايا القلب .. صحيح أن ذلك يمكن أن يحدث بعد الوفاة ، ولكنه توفى من أربعة أيام فقط ، وهناك كثير من التحلل حدث قبل الوفاة ، وهذا واضح من اختلاف اللون ، و ....

قاطعه (نور) قائلا :

ـ وهل هذا نوع من أمراض القلب المعروفة ؟

أجابه الدكتور (آدم) قائلا :

— نعم يا بنىّ ، إنه واحد من أمراض جنون الجهاز المناعى ، حيث يهاجم الجسم نفسه بدلا من الأجسام الغريبة .

زوى (نور) ما بين حاجبيه ، وقال :

— ولماذا قضى نحبه فى هذا المكان بالذات ؟

هزّ الدكتور (آدم) كتفيه ، وقال :

— الله وحده أعلم يا بنىّ .

وفى تلك اللحظة قال (محمود) بصوت متحشرج :

— هل يمكنكم الحضور إلى هنا لحظة ؟.. هناك ما يمكنكم رؤيته .

هرع إليه الجميع ، ثم توقفوا مشدوهين مما وقع عليه بصرهم ، فبين جذعين ضخمين من جذوع الأشجار ، امتدت خيوط متناسقة تشبه تماما ما يصنعه العنكبوت ، ولكن حجم الخيوط يؤكد أنه عنكبوت يبلغ أضعاف حجم أكبر العناكب المعروفة على كوكب الأرض .

* * *

مضت فترة طويلة من الصمت ، قبل أن يقول (نور) :

— من أى أنواع العناكب هذا يا دكتور (آدم) ؟

حرك الدكتور (آدم) رأسه فى حيرة ، وقال يتلعثم :

— إن شكل الخيوط وطريقة بناء العش يدل على أنه من ذلك النوع العادىّ ، الذى ينتشر عادة فى الأدغال ، وبعض المنازل المهجورة ، ولكن حجمه فى العادة لا يزيد على ثلاثة سنتيمترات ، أما ما ينتج هذا الحجم من الخيوط فـ ...

ولم يتم عبارته ولكنهم فهموها جميعا . فعاد الصمت يسود بينهم إلى أن قال (محمود) :

— اللعنة !! ألن ينتهى هذا الرعب ؟

قال الدكتور (رضا) موجها حديثه لـ (نور) :

— أعتقد أنه من الأفضل إخفاء الأمر عن زوجتك أيها الرائد ، وإلاّ قضت ليلتها مستيقظة من شدة الرعب .

أومأ (نور) برأسه موافقا ، وقال :

ـ هذا صحيح يا سيدى ، ولقد تعمّدت عدم إحضارها فى أثناء فحصنا للجثة ، فهى رقيقة المشاعر بعكس ...

ولم يجد (نور) الوقت الكافى لإتمام عبارته ، إذ شقت الأدغال صرخة قوية يملؤها الرعب ، ميز فيها الجميع صوت (سلوى) .

* * *



٨ ـ أوهام العطش ..

انطلق (نور) كالسهم إلى خيمة زوجته ، وتبعه الآخرون بمزيج من الخوف والقلق ، وما أن اجتاز باب الخيمة حتى توقف مشدوها ، وزاغت عيناه ، وهو يراقب المنظر المفزع الذى ارتسم أمامه .

كانت (سلوى) منكمشة فوق فراشها ، وقد تجلّت فى عينيها أقسى علامات الفزع ، وهى تحدق برعب فى عنكبوت ضخم ، يبلغ حجمه ما يقرب من حجم سيارة متوسطة ، وقد امتدت سيقانه المتعددة المشعرة تملأ الخيمة ، وهو يقترب من ضحيته بحذر ، وقد بدأ يغزل خيوط مصيدته حول الفراش ...

استدار العنكبوت الضخم ، محدّقا فى (نور) بعينيه الصغيرتين البشعتين ، وأسرع (نور) يخرج مسدسه ، إلاّ أن العنكبوت الماهر ألقى بخيوطه المغزولة حول ذراع (نور)

وجسده مقيِّدًا حركته ، ثم مدّ إبرته السامّة محاولاً غرزها فى جسد بطلنا .

شعر (نور) بعجزه التام وذراعه محدودة الحركة ، لا تمكنه بها تصويب مسدسه إلى العنكبوت الضخم ، والخيوط الضخمة التى تصل إلى حجم الحبال ملتفة حول جسده ، لزجة قوية ، وإبرة العنكبوت تقترب من صدره بسرعة ..

وفى تلك اللحظة صرخت (سلوى) ، وقفز (محمود) ، و (رمزى) نحو الحشرة العملاقة فى محاولة للدفاع عن قائدهم ، وتراجعت إبرة العنكبوت الضخم ، وفرد أذرعه المتعددة فى وضع استعدادى للقتال ، فقد أربكه زيادة عدد خصومه إلى درجة غير متوقعة ، وظهرت الحيرة واضحة فى ارتباك خطواته ، ودورانه حول نفسه .. وهنا ألقى (نور) بجسده على الأرض بحيث سقط على ظهره ، وأصبح العنكبوت الضخم فى مواجهة فوّهة مسدسه الليزرى تمامًا ، برغم



شعر (نور) بعجزه التام وذراعه محدودة الحركة ، لا يمكنه بها تصويب مسدسه إلى العنكبوت الضخم ..

ذراعه المقيدة إلى جوار جسده ، وبدون تردد ضغط زناد المسدس ، وشقت أشعة الليزر القوية طريقها لتشطر الحشرة شطرين ، واندفع من داخلها سائل أبيض اللون ، تناثر على الفراش ، وعلى جسد (سلوى) ، التى غطت وجهها ، وصرخت بمزيج من الفزع والاشمئزاز ، ثم هدأ كل شىء فجأة .

تسمّر الجميع فى أماكنهم يحدقون فى جسد العنكبوت العملاق ، الذى توقف عن الحركة تمامًا ، ثم تنبه (محمود) من دهشته ، وأسرع يعاون (نور) فى التخلص من قيوده ، على حين تمتم هذا الأخير بأسف وحنق :

ـ يا إلهى !! لقد ارتكبت فى هذه المرة من أنواع القتل والدمار ما لم أتصوّره فى عمرى بأكمله .

وما أن تخلّص من الخيوط البشعة ، حتى قفز نحو زوجته ، وأحاطها بذراعيه وهو يهمس فى أذنها بحنان :

ـ لقد انتهى كل شىء يا عزيزتى .. لست أدرى لماذا تختارك الأخطار دائمًا ؟

تمتم الدكتور (رضا) بصوت خافت :

ـ ربما لأنك تتركها وحدها كثيرا .

كان الدكتور (آدم) قد انحنى فوق جثة العنكبوت العملاق يفحصها باهتمام ، ثم لم يلبث أن نهض ، وقال :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن نعود أدراجنا . فلقد نجونا من هذه الأخطار مرتين حتى الآن ، ويعلم الله تعالى ماذا يمكن أن يحدث لنا فى المرة الثالثة .

قال (نور) بلهجة حازمة :

ـ إنها المرة الثالثة بالنسبة لى ولزوجتى يا سيدى ، ولكننى لا أنوى التراجع مطلقا ، فلم أعتد الاستسلام أمام هذه الألغاز مهما بلغ غموضها .

ساد الصمت فى الخيمة ، ثم تحدث الدكتور (رضا) بلهجته المرحة قائلًا :

ـ حسنا أيها الشاب العنيد .. سنواصل مهمتنا ، ولندع الله ألا يقتلنا العطش ، أو أحد هذه الحيوانات العملاقة .

* * *

أشرقت الشمس فى الصباح ، وتسللت خيوط من أشعتها الذهبية عبر أغصان الدغل المتشابكة ، دون أن يغمض لأى من أعضاء الفريق جفن .. وما أن سقط أول شعاع من أشعة الشمس على وجه الدكتور (رضا) حتى تثاءب ، ونهض قائما ، وقال بتراخ :

ــ ها هو ذا ضوء الشمس أخيرا .. لقد تصورت فى بعض اللحظات أننا لن نراه ثانية مطلقا .

رفع (محمود) رأسه إلى أعلى ، وتثاءب بدوره وهو يقول :

ــ لقد اعتدنا ذلك طوال عملنا مع الرائد (نور) يا سيدى ، ففى كل لحظة من مغامراتنا كنت أتصور أن هذا الشروق هو آخر شروق يقع عليه بصرى .

وفجأة توقف عن الحديث ، وتمتم بصوت تملؤه الدهشة :

ــ يا إلهى !! انظروا يا رفاق .. انظروا إلى تلك الفجوة فى أعلى جذع الشجرة والتى يعبرها ضوء الشمس .

رفع الجميع أبصارهم إلى حيث أشار (محمود) ، ولكن أحدهم لم يتبين ما يثير مثل هذه الدهشة ، فسأله (نور) :

ــ أية فجوة يا (محمود) ؟

أشار (محمود) إلى منطقة تقع أسفل تفرع أغصان الشجرة العلوية ، وقال بلهفة :

ــ انظر جيدا أيها القائد .. إنها فجوة شبه مستديرة ، محترقة الجوانب ، كما لو أن شيئا ملتهبا عبر جذع الشجرة بقوة وسرعة جبارتين .

تنبه الجميع فى تلك اللحظة إلى الفجوة المحترقة ، فقطّب (نور) حاجبيه وهو يتمتم :

ــ هذا صحيح .. يا إلهى !! كيف حدث ذلك ؟

أجابه الدكتور (رضا) بسرعة واهتمام :

ــ إنه نيزك صغير أيها الرائد .. نيزك احترق بفعل احتكاكه بالغلاف الجوى لكوكب الأرض ، ولم تبق منه سوى هذه الكتلة الصغيرة ، التى ارتطمت بجذع

الشجرة ، واخترقته محرقة أطراف فجوة العبور .

كان الدكتور (رضا) يتحدث بثقة عالم فى الجيولوجيا[1] ، حتى أن أحدهم لم يجرؤ على تفنيد تفسيره ، إلاّ أن (نور) قال بتساؤل :

ــ ولكن كيف لم تلتقط مراصدنا هذا النيزك ؟ ولم يهتم أحد بمكان سقوطه ؟

أجابه الدكتور (رضا) :

ــ لأنه هناك آلاف النيازك الصغيرة التى تخترق غلافنا الجوى يوميًا أيها الرائد ، ولكنها تحترق بأكملها قبل أن ترتطم بالأرض ، ومن الواضح أن هذا النيزك كان صغير الحجم إلى درجة لم تلفت انتباه المراصد ، ولم يتصوّر أحد إمكانية بقاء أى جزء منه بعد سقوطه .

ثم برقت عيناه بفضول علمى وهو يستطرد باهتمام :

ــ آه لو أجد بقاياه !! سيكون نصرا علميا جديدا .

صمت (نور) مفكرًا ، وطال صمته والجميع

(١) الجيولوجيا هى علم دراسة المعادن وطبقات الأرض .

يترقبون ما ينطق به ، إلى أن قال بهدوء :

ــ أنت محق يا دكتور (رضا) .. سنعاونك جميعا فى البحث عن بقايا هذا النيزك .

* * *

أشارت الساعة إلى الثالثة عصرا ، عندما تهاوى الجميع بإرهاق ، وأخذوا يجففون العرق الغزير الذى سال على جباههم من كثرة البحث والتنقيب ، وتنهد الدكتور (رضا) بعمق ، وقال بلهجة أقرب إلى اليأس :

ــ لا فائدة .. لن نعثر على بقاياه مطلقا .. لقد جف لسانى من شدة العطش .. آه .. كم أنا مستعد لدفع نصف عمرى فى مقابل جرعة ماء !!

قالت (سلوى) وهى تشيح بذراعها :

ــ أما أنا فسأدفع عمرى بأكمله فى مقابلها يا سيدى .

ساد الصمت بينهم وقد أضناهم العطش والإرهاق ،

واستغرق كل منهم فى تفكير منفرد ، إلى أن قال (محمود) :

— أعتقد أننا أضعنا كثيرا من الوقت فى البحث بطرق خاطئة .

سأله الدكتور (رضا) بضيق :

— ماذا تعنى بطرق خاطئة أيها الشاب ؟

ابتسم (محمود) بشحوب ، وقال :

— معذرة يا سيدى ، لم أقصد الإساءة إليك ، ولكننى كنت أفكر بأسلوب هندسى بعض الشىء .

جلس الدكتور (رضا) على صخرتين متلاصقتين ، وقال :

— حسنا .. هات ما عندك .

بذل (محمود) مجهودا ليبتلع ريقه الذى جف من شدة العطش ، وقال :

— كان من المفروض أن نبحث فى خطوط مستقيمة .. أعنى أننا لو رسمنا خطًا مستقيمًا من نقطة احتراق الجذع

تبعًا لميل فجوة الاحتراق ، لوصلنا إلى المكان الذى سقط فيه النيزك بلا ريب .

صمت الدكتور (رضا) لحظة مفكرا ، ثم تألقت أساريره وهو يقول بمرح :

— هذا صحيح أيها الشاب .. صحيح تماما .

ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وقال :

— لقد اخترق النيزك جذع الشجرة هنا ، مائلا بزاوية خمس وأربعين درجة تقريبا ، ولذا فلا بدّ أن يهبط فى ..

وتحرك ببصره مع خط وهمى رسمه فى خياله ، حتى وجد نفسه ينظر ما بين ساقيه ، فصاح وهو يشير إلى نقطة التقاء الصخرتين اللتين يجلس فوقهما :

— هنا .. فى هذا المكان بالضبط .

وقفز من مكانه ، ثم انحنى ينظر بين الصخرتين ، وسمعه الجميع يهتف بسعادة ودهشة :

— ربّاه !! لقد وجدت ما هو أعظم من هذا



وقفز من مكانه ، ثم انحنى ينظر بين الصخرتين ، وتبعه الجميع يهتف بسعادة ودهشة ..

النيزك .. وجدت نبعا صغيرا من ينابيع الماء أخفته تلك الصخرتان عن عيوننا .

* * *

صاح الجميع بسعادة ، فلقد كان كشف هذا النبع الصغير أعظم فى نظرهم ملايين المرات من كشف سر الكون بأكمله ، وانحنى الدكتور (رضا) يتناول جرعة من الماء ، بلل بها شفتيه فقط وهو يقول :

ـ لا تشربوا دفعة واحدة .. بللوا شفاهكم أولا حتى لا تصابوا بالمرض ، ثم إننا لا نعلم بعد إذا ما كان هذا الماء عذبًا أم ساما .

ضحك الدكتور (آدم) وهو يقول :

ـ المياه السامة لا تتواجد وسط الأعشاب والأشجار يا عزيزى .

ابتسم (نور) براحة ، وهو يتأمل علامات الفرح والأمل التى ارتسمت على وجوه الجميع ، وأغمض عينيه محاولا استرجاع كل ما حدث .. تذكر الظلال المفزعة ، و

ومصرع (سلطان) ، وقلبه الذى تلاشى بصـــورة عجيبة ، ثم الحيوانات الضخمة ، وجثة الرجل المجهول ، وذلك النيزك الذى ظهر واختفى بصورة غامضة ، وبدأ يرتب تلك الأحداث فى ذهنـــه بهدوء وسرعـــة ، ولم يستغرق منه كل ذلك التفكير سوى جزء من الثانية .

وفجأة فتح (نور) عينيه ، وتألقت مقلتاه ببريق مألوف ، ثم قفز من مكانه ، وصاح بـ (سلوى) التى رفعت الماء نحو شفتيها تهم بتبليلهما :

ـ لا .. لا تمسوا هذا الماء .. توقفوا .. إنه مصدر كل هذه الأهوال التى لقيناها .

استـدار إليه الجميع بذهـــول ، ومـــا أن لمحت (سلوى) تألق عينيه وبريقهما الذى تعلم معناه جيدًا ، حتى تركت الماء ينزل من كفيها ، وصاحت بسعادة غامرة :

ـ (نور) .. لقد توصلت إلى حل اللغز ، أليس كذلك ؟

ابتسم بهدوء وهو يقول :

ـ بلى يا عزيزتى .. لقد توصلت إليه فى اللحظة المناسبة .

* * *



٩ ــ تلاشى الغموض ..

تطلّع الجميع إلى (نور) باهتمام ، عدا الدكتــور (آدم) ، الذى نظر إليه بشك ، غير مصدق أن هذا الشرطى يمكنه التوصل إلى حلّ منطقى بالنسبة للغز علمى بحت مثل هذا ، ولكن شيئا ما فى ملامح (نور) أو فى عينيه المتألقتين دفعه إلى الاهتمام والإنصات إلى الكلمات ، التى بدأت فى الخروج من بين شفتيه ، حيث استكان (نور) جالسا فوق صخرة بيضاء متوسطة الحجم ، وقال بهدوء :

ــ راجعوا معى بهدوء وتركيز كل ما صادفناه من ألغاز .. أجسام مجهولة تهاجم جسد الحارس المسكين (سـلطـان) ، وتلتهم قلبه فقط دون سائر خلاياه الأخرى ، شاقة طريقها بدقة بالغة عبر أنسجة صدره ، ثم حيوانات عملاقة يختلف حجمها من واحدة لأخرى ،



وكلها من المفروض أنها صغيرة الحجم فى الطبيعة ، وجثة رجل قضى نحبه بسكتة قلبية ناشئة من أحد أمراض جنون الجهاز المناعى فى نفس البقعة ، التى هبط فيها نيزك صغير الحجم مجهول الهوية ، وأخيرا نبع صغير يختفى بين صخرتين متجاورتين .. بم يوحى لكم كل هذا ؟

هزّ البعض رءوسهم فى حيرة ، ومطّ آخرون شفاههم ، على حين قال الدكتور (آدم) بتردّد :

ـــ إننى لا أجد أية صلة فى الواقع أيها الرائد ..

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ بالعكس يا دكتور (آدم) .. إنى أجد هذه الأمور مترابطة بشكل غاية فى المنطقية ، ويسعدنى أن أقص على أسماعكم قصة طريفة .

ثم استند بهدوء إلى جذع شجرة مجاورة ، واستطرد قائلا :

ـــ منذ فترة قصيرة .. أسبوع أو أكثر قليلا عبر

نيزك مجهول غلافنا الجوى ، واحترقت معظم مادته بفعل الاحتكاك ، ولكن الجزء الذى بقى منه ارتطم بقوة شديدة بجذع شجرة من أشجار هذا الدغل المتشابك واخترقها ، ثم اصطدم بالأرض وهو مستمر فى اندفاعه بنفس القوة والسرعة ، فاخترقها أيضًا بين هاتين الصخرتين ، حيث وصل إلى منطقة من مناطق المياه الجوفية ، مما أدّى إلى نشوء نبع صغير من ينابيع المياه الجوفية .. نبع تأثرت مياهه بنوع مادة النيزك ، أو بنوع غير معروف من أنواع الأشعة تنبعث منـه .

ازداد اهتمام الجميع وهم ينصتون إلى (نور) ، الذى واصل قائلا :

ـــ ولمّا كان هذا النبع صغيرا ومختفيا بين صخرتين متلاقيتين ، فقد كان من الصعب على الحيوانات الكبيرة كالفئران والضفادع والعناكب .

صاحت (سلوى) بدهشة :

ـــ هل تقصد أن هذه الحيوانات العملاقة التى هاجمتنا تضخمت بسبب ..؟

قاطعها (نور) قائلا :

ـ هذا صحيح يا عزيزتى .. لقد ارتوت هذه الحيوانات الصغيرة من ذلك النبع ، ثم تضخمت أجسادها بشكل يخالف كل ما هو مألوف على كوكب الأرض ، وهذا طبيعى ما دام المؤثر نفسه ليس معروفا على كوكب الأرض .

أشار الدكتور (آدم) بسبابته ، وقال :

ـ إننى أميل إلى هذه النظرية أيها الشاب .

قال (محمود) بتساؤل :

ـ ولكن ماذا عن جثة الرجل والظلال المفزعة التى هاجمت (سلطان) ؟

هزّ (نور) رأسه وهو يقول :

ـ هذا هو الجزء الهام من اللغز يا (محمود) .. بل يمكن اعتباره اللغز الحقيقى .

ثم استطرد بهدوء :

ـ لقد سمعتم جميعا الدكتور (آدم) وهو يشرح

لـ (سلوى) موضوع أمراض الجهاز المناعى ، وذلك الجنون الذى يصيبه ، ويدفعه إلى إنتاج أجسام مضادة تهاجم أعضاء الجسم نفسها ، وسمعتم جميعا (رمزى) وهو يؤكد أن ذلك الرجل الذى لقى مصرعه هنا توف بسبب مرض جنون الجهاز المناعى ، حيث أنتج الجسم أجساما مضادة تهاجم عضلات القلب نفسه ، وسمعتم أيضا الدكتور (آدم) وهو يؤكد أن معدل تضخم هذه الحيوانات غير محدود ، أى أنه من الممكن أن تنمو إلى ما لا نهاية ، لو أتيحت لها الفرصة ، كما سمعتموه ، والدكتور (حجازى) يؤكد أن الخلايا المنفردة فى جسم الفأر العملاق قد تضاعف حجمها جدا .

صاح الدكتور (رضا) بجذل :

ـ يا إلهى !! لقد فهمت ما ترمى إليه أيها الرائد .. أقسم بأولادى أنك عبقرى ، بل أكثر من قابلت فى حياتى عبقرية .

وتردّد (رمزى) لحظة قبل أن يقول :

ـ أما أنا فأحتاج إلى تفسير أكثر وضوحا أيها القائد .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ بالطبع يا عزيزى (رمزى) .. لقد وصل هذا الرجل المسكين إلى هنا يعانى العطش مثلما كنا ، بدليل أننا لم نجد بجواره أية أوعية للشراب ، ولابدّ أنه عثر بدوره على نبع الماء الصغير ، وتناول منه بضع جرعات . ومن الحقائق المعروفة أنه إذا ما شرب الإنسان جرعة كبيرة من الماء بعد فترة طويلة من العطش ، فإن نبضات قلبه ترتفع فجأة ، ثم تبدأ فى الهبوط تدريجيًا ، ولكن قلب هذا الرجل الضعيف لم يحتمل ذلك الارتفاع المفاجئ ، فأصيب بسكتة قلبية . ولقى مصرعه ، ولكن خلايا جسده كانت قد حصلت على بعض ذلك الماء المتأثر بالنيزك الغامض ، ولمّا كانت الأجسام المناعية هى آخر ما يفارق الحياة من خلايا الجسم ، فقد بدأت الأجسام المناعية عملية التضخم .

بعد أن غادرت الجسم عن طريق الشعيرات الدموية ، التى تصب فى الفم عن طريق الغدد اللعابية ـ مثلا ـ ولمّا كان هذا التضخم غير محدود ، فقد نمت حتى أصبحت فى حجم رجل ضئيل الجسد تقريبا ، وهى تتحرك بذعر فى عالمنا الذى يخالف تماما عالمها الذى اعتادت عليه داخل الجسد .

وصمت لحظة ازدرد فيها لعابه ، وترك للآخرين فرصة لاستيعاب ما قاله ، ثم تابع قائلا :

ـ والتقطت أجهزة الفحص الحرارى الحرارة المنبعثة من الأجسام المضادة الباقية على قيد الحياة ، بعد رحلة العذاب خارج الجسد البشرى ، ولم يستطع أحد تحديد طبيعة هذه الظلال الهلامية المفزعة ، التى تتحرك بمزيج من الذعر والحذر فى عالم يختلف تماما عمّا اعتادته ..

ثم التفت إلى زوجته (سلوى) ، وقال :

ـ هل تذكرين عبارتك يا عزيزتى ، عندما أشرت إلى أنه من المحتمل أن تكون هذه الظلال لأجسام معروفة ،

ولكن حجمها المتضخم بشدة جعلها تبدو غير مألوفة ؟.. هذا صحيح ، فمن المستحيل أن يميز شخص شكل أجسام مضادة تقارب حجم الإنسان ، وقد اعتدنا عدم رؤيتها إلا بواسطة الميكروسكوب الإليكترونى .

وتنهّد بعمق ، ثم تابع قائلا :

ـ هذا ما حدث تماما ، فقد خرج (سلطان) المسكين ، بشجاعة فى محاولة لتعرف طبيعة هذه الظلال العجيبة ، ولم يدر أنه بذلك وضع أمام تلك المخلوقات قلبا ينبض بالحياة .. قلبا تلقى وهو داخل جسم الرجل الذى تتبعه أمرا من جهاز مناعى أصيب بالجنون أن تهاجمه وتلتهمه ، وهذا ما كان .. لقد هاجموا (سلطان) الذى أصابه الرعب من شكل هذه الكائنات المفزعة ، وقبل أن يجد الوقت الكافى للدفاع عن نفسه كانت الأجسام المضادة قد أذابت خلايا صدره بسوائلها الكيميائية ، لتصل إلى قلبه ، ثم التهمت القلب تماما ..

والقلب فقط ، حتى أنها لم تسئ إلى باقى المحتويات كالصمامات ، والأوردة ، والشرايين ، والمشدات الهدبية ، وغيرها .. لقد تم انتقاء عضلات القلب فقط ، وبدقة مذهلة أدهشت حتى الدكتور (حجازى) ، خبير الطب الشرعى القديم .

تمتم الدكتور (آدم) :

ـ تفسير مذهل !!

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ تلك الأجسام المضادة لعضلات القلب هى الوحيدة التى كان باستطاعتها انتقاء تلك العضلات فى هذا الوقت القصير ، الذى مرّ ما بين مهاجمتها للحارس المسكين ، ووصول فريق الإنقاذ إلى المكان ، ثم إنها الوحيدة أيضا التى لم تكن بحاجة لنزع القفص الصدرى لانتزاع القلب ، نظرا لطبيعتها الهلامية .

هزّ (رمزى) رأسه ، وقال بدهشة :

ـ صدقنى أيها القائد .. هذا أعجب تفسير سمعته من بين شفتيك .

ضحك (نور) ، وقال :

ــ هذا صحيح ، ولكن إثباته ليس بمثل هذه الصعوبة ، فما زال لدينا نبع الماء ، ويمكن لعلمائنا تحليله ، وإجراء تجاربهم عليه ، وستتأكدون جميعا من صحة استنتاجى .

وهنا سمع الجميع صوت الدكتور (رضا) هادئا يقول :

ــ أما أنا فأصدق كل كلمة نطقت بها أيها القائد .. بل أومن بها تماما .. وهاك الدليل .

التفت إليه الجميع واتسعت عيونهم دهشة ، فلم يعد هو الدكتور (رضا خليل) الضئيل الجسم . المنمنم الملامح ، بل أصبح طويلا عريضا ، كأبطال رياضة كمال الأجسام ، وابتسم وهو يتابع بهدوء :

ــ لقد مسست هذا الماء بشفتى فقط . وتسللت منه قطرة واحدة أو أقل إلى لعابى ، وها هى ذى النتيجة .

التفت إليه الجميع واتسعت عيونهم دهشة ، فلم يعد هو الدكتور (رضا خليل) الضئيل الجسم ..

صاح الدكتور (آدم) بذهول :

ـ يا إلهى !! هذا مستحيل !!

ابتسم الدكتور (رضا) ابتسامة شاحبة ، وسط ذهول الجميع ، وغمغم متظاهرا بالمرح :

ـ على الأقل ستكف زوجتى عن السخرية من جسمى الضئيل .. سابقا .

غمغم (نور) بلهجة آسفة :

ـ مسكين يا دكتور (رضا) .. ليتنى رفضت مصاحبتك لى ..

قالت (سلوى) بدهشة :

ـ لماذا تنعته بالمسكين ؟.. إننى أراه أكثر وسامة من ذى قبل !

ابتسم (نور) بحزن ، وقال :

ـ ولكن العلماء لن يلاحظوا وسامته يا عزيزتى .

نظرت إليه (سلوى) بدهشة ، ولكنها فهمت ما يعنيه تماما ، عندما قفز الدكتور (آدم) نحو الدكتور

(رضا) بلهفة ، وصاح باهتمام بالغ ، وهو يتحسس جسده :

ـ إنها معجزة يا دكتور (رضا) .. معجزة علمية بكل المقاييس .. إنها فرصة نادرة لدراسة سلوك الخلايا الحيّة فى جسدك بعد تضخمها ..

شحب وجه الدكتور (رضا) ، والتقت عيون أفراد الفريق بعينيه الزائغتين ، ولكنه بذل جهدا خارقا ليبدو مرحًا كعادته ، وهو يقول :

ـ رباه !! هذا هو مصيرى إذن .

ولكن مرحه تحطم فجأة بعد أن عجز عن التظاهر به مدة أطول ، وتهدل كتفاه ، وقال بحزن وأسى :

ـ لقد حصلت أخيرا على منصب .. فأر تجارب .

* * *

١٠ ـ الختام ..

جلس (نور) صامتا شاردا فى حديقة منزله ، وهو يتطلع إلى الطريق بنظرة تحمل الترقب والانتظار ، على حين جلست زوجته (سلوى) إلى جواره ، تداعب طفلتهما الصغيرة ، وتختلس النظر إليه بين الفينة والفينة بأسف وحزن ، ولم تلبث أن وضعت كفها الرقيق على كتفه ، وقالت بصوت خافت :

ـ دع عنك كل هذا الحزن يا (نور) .. إنك لست مسئولا عما حدث .

ظلّ على صمته وشروده فترة ، ثم قال بصوت حزين :

ـ كيف ذلك يا (سلوى) .. ألم أكن أنا صاحب فكرة الخروج لاقتفاء آثار الفأر العملاق ؟.. ألم يكن تعجلى واهتمامى البالغ بالتوصل إلى حل لغز الظلال



المفزعة ، هو سبب ما حدث للدكتور (رضا) ؟

قالت (سلوى) بعصبية :

ــ وماذا حدث له ؟.. إن جسده لم يواصل النمو بأكثر مما حدث بعد تبليله لشفتيه فى ذلك الدغل ، ولنحمد الله (سبحانه وتعالى) أنه كان ضئيل الجسم ، فتحول إلى رجل ممشوق القوام فقط .

هز (نور) رأسه بأسف ، وقال :

ــ بل تحول إلى فأر تجارب فى معامل أبحاث الخلايا يا (سلوى) .

عضت على شفتيها بضيق ، ولاذت بالصمت ، ولكنها سمعت (نور) يقول باهتمام :

ــ ها قد وصل (رمزى) و (محمود) .. أرجو أن يحملا أخبارا طيبة عن الدكتور (رضا) .

اجتاز (رمزى) و (محمود) باب الحديقة وهما يلوحان بذراعيهما لـ (نور) و (سلوى) ، وسرعان ما اجتمع الفريق ، وسألهما (نور) عن أحوال الدكتور

(رضا) ، فقال (رمزى) ببساطة :

ــ لقد استعاد روحه المرحة كسابق عهده ، وبدأ فى تقبل الأمر ببساطة ، برغم أنهم يجرون تجاربهم عليه ليلا ونهارا .

ابتسم (محمود) ، وقال :

ــ لقد حيانا بمرح فور رؤيته لنا ، وهمس فى أذنى ضاحكا ، إنهم يجرون تجاربهم على خلاياه بكثرة تجعله يخشى أن تنفد خلاياه جميعها ، أو يعود ضئيل الجسم كما كان .

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ إن مرحه الزائد هذا أكبر دليل على شدة قلقه يا (محمود) ، ويمكن لـ (رمزى) أن يؤكد قولى هذا .

أومأ (رمزى) برأسه موافقا ، وقال :

ــ هذا صحيح .

ثم اعتدل مواجها (نور) ، وقال :

ــ قد يبدو العلم قاسيا فى بعض الأحيان أيها

القائد ، والعلماء كمن لا قلوب لهم ، ولكن وراء هذه القسوة الظاهرية تكمن عاطفة قوية ، يكمن هدف نبيل ، ألا وهو السعى وراء المزيد من التقدم والرقى للأمم والشعوب ، ولو أننا هاجمنا كل خطوة من خطوات العلم باسم العواطف والمشاعر ، ما كان هناك تقدم علمى على الإطلاق .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال بهدوء :

— نعم .. إننى أوافقك فى هذا الرأى يا (رمزى) .

تنهدت (سلوى) بارتياح ، وسألت (نور) :

— ماذا حدث فى أمر فحص ماء النبع يا (رمزى) ؟

أشار (رمزى) إلى (محمود) بصمت ، فانبرى هذا الأخير قائلا :

— إنهم لم يعثروا على بقايا النيزك المجهول ، ويفترض أنه قد ذاب تماما فى ماء النبع ، فلقد تبين للعلماء أن

هذا الماء يحمل خواص غاية فى الغرابة ، ناشئة بالطبع من تأثير ذلك النيزك المجهول .

ثم ابتسم وهو يتابع قائلا :

— العجيب فى الأمر أن ماء ذلك النبع كان له الفضل الأعظم ، بسبب خواصه النادرة فى نجاح تجارب التحويل الذرى العنصرى ، فلقد أمكن بفضله تحويل المعادن المختلفة إلى ذهب ، باستخدام ثلاث خطوات فقط ، بدلا من تسع عشرة خطوة فى السابق .

تمتم (نور) بهدوء :

— لكل شىء جانبه المشرق يا رفاق .

وافقه الجميع بإيماءة من رءوسهم ، وقالت (سلوى) :

— ما زال هناك سؤال أخير فى ذهنى يا (نور) .. أين ذهبت هذه الأجسام المضادة لعضلات القلب ، بعد أن قتلت الحارس المسكين (سلطان) ؟

أجابها (نور) بهدوء :

ـ إنها لم تحتمل ظروف الحياة خارج الجسد البشرى يا عزيزتى ، برغم حجمها الضخم ، ولقد كان (سلطان) آخر ضحاياها بلا ريب .

وافقه (رمزى) قائلا :

ـ استنتاج موفق أيها القائد .. لقد عثرت بعثة التنقيب بالفعل على بقايا عضوية ناشئة من تحلل هذه المخلوقات البشعة ، بعد أن انتهى عمرها ، والتهمت حيوانات الغابة معظمها ، وكنت قد نسيت أن أخبرك بذلك لولا سؤال (سلوى) ، والعثور على هذه البقايا سيتيح للباحثين فرصة نادرة لفحص تلك الأجسام المضادة العملاقة ، ودراسة أسباب جنون الجهاز المناعى البشرى ، وسيساعد هذا على إيجاد العلاج الملائم له .

ارتسمت ابتسامة راحة على وجه (نور) ، وتراخى فى مقعده بهدوء واسترخاء ، وأغمض عينيه وهو يقول بصوت عادت إليه رنة الأمل والتفاؤل :

ـ ألم أقل لكم ؟.. لكل شىء جانبه المشرق يا رفاق .

* * *

(تمت بحمد الله)